وزارة التـعليم العالي والبحـث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الـوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
شعبة: التاريخ العام

مقياس:

المغرب العربي الحديث ما بين القرنين (16-19م)

محاضرات من مقرر السنة الثانية تاريخ عام نظامL M D

إعداد وتقديم:
د. عبد الكامل عطية

السنة الجامعية:1441/1440هـ الموافق لـ 2019/ 2020 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي-
Université Echahid Hamma Lakhdar-El-Oued
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
Faculté des Sciences Sociales et Humaines
قسم العلوم الإنسانية
Département des Sciences Humaines

الرقم:.03./ل.ع.ق.ع.إ/2021

مقرر اعتماد مطبوعة بيداغوجية

- بناء على محضر اجتماع اللجنة العلمية لقسم العلوم الإنسانية المؤرخ في 08 نوفمبر 2020، والذي تم فيه تقديم مطبوعة بيداغوجية **للدكتور عبد الكامل عطية** والموسومة ب: " **المغرب العربي الحديث ما بين القرنين 16-19م** " والمعدة لطلبة السنة الثانية ليسانس تخصص تاريخ عام، وقد تم تعيين خبيرين للتحكيم وهما:

1- د/ عبد القادر كركار

2- د/ معاد عمراني

- وبناء على تقريري الخبرة الإيجابيين المقدمين من طرف الخبيرين السالفي الذكر بتاريخ 2020/11/24 و 2021/01/30.

- وبناء على محضر اجتماع اللجنة العلمية لقسم العلوم الإنسانية المؤرخ في2021/02/02 الذي تم فيه دراسة تقريري الخبرة المقدمين.

فإن رئيس اللجنة العلمية وكافة أعضائها قد وافقوا على اعتمادها كمطبوعة دراسية لطلبة السنة الثالثة ليسانس تخصص تاريخ عام.

الوادي في 2021/02/03

رئيس اللجنة العلمية

رئيس اللجنة العلمية
قسم العلوم الإنسانية

وزارة التـعليم العـالي والبحـث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الـوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
شعبة: التاريخ العام قسم العلوم الإنسانية

مقياس:

المغرب العربي الحديث ما بين القرنين (16-19م)

محاضرات من مقرر السنة الثانية تاريخ عام نظامL M D

إعداد وتقديم:
د. عبد الكامل عطية

السنة الجامعية:1441/1440هـ الموافق لـ 2019/ 2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

سنتطرق في هذه الدراسة الى التعرف على حالة ووضعية البلدان المغاربية بعد سقوط غرناطة، وآثاره المدمرة على المنطقة لفترة زمنية طويلة،كما توضح أطراف الصراع التي برزت بعد هذا الزلازل الذي شهدته أوربا فقد برزت الخلافة الإسلامية العثمانية كطرف فاعل في هذا الصراع،خاصة بعد عملية إلحاق الكثير من أقطار العالم العربي الى صفه وتوليها مهمة الدفاع عنها الى غاية ضعفها ،وانقضاض الدول الاستعمارية على ايالاتها التي تهاوت الواحدة تحت الأخرى لتشهد بعد ذلك فصلا جديدا من تاريخها تحت هيمنة هذه الدول الاستعمارية.

يأتي هذا العمل في سياق المقرر المعتمد من طرف الوزارة الخاص بالسنة الثانية تاريخ عام لسداسي الخامس والهدف من تدريس هذا المقياس هو التعرف على حالة المغرب العربي في الفترة الحديثة وحالة الحراك الذي ميزته بين حالتي الاستعمار والمقاومة ونشأة الدول الوطنية في المنطقة والإلمام بنهاية الفترة الوسيطة وبداية الفترة الحديثة.

محاور المادة :

المحور الأول: أوضاع بلدان المغرب العربي 16/15م

- سقوط غرناطة وآثاره على منطقة المغرب العربي
- أوضاع الدول المغاربية في أواخر القرن 15 ومطلع القرن16م

المحور الثاني: العثمانيون في الحوض الغربي للمتوسط

- المد العثماني الى الحوض الغربي للمتوسط
- ظروف الحاق الدول المغاربية بالدولة العثمانية

المحور الثالث: تطور نظم الحكم في بلدان المغرب خلال الفترة العثمانية

1-تطور نظام الحكم في الجزائر

2-تطور نظام الحكم في تونس

3-تطور نظام الحكم في ليبيا

4-تطور نظام الحكم في المغرب الأقصى في فترة السعدين والعلويين

وقد حاولنا في هذه الدراسة الإلمام قدر الإمكان بمختلف جوانب الموضوع بالشرح والإيضاح مع الإحالة الى أهم المصادر والمراجع خاصة في بعض الجزئيات التي لم نعطها حقها من التوضيح والشرح،كما احلنا الدارس الى مجموعة من الوثائق التي تتضمن ترجمة لأفكار بعض محتوى الموضوع.

د.عبد الكامل عطية الوادي:2020/09/12

المحـــــور الأول

أوضاع بلدان المغرب العربي 16/15م

أولا: سقوط غرناطة وآثاره على منطقة المغرب العربي

ثانيا: أوضاع الدول المغاربية في أوآخر القرن 15 ومطلع القرن16م

أولا: سقوط غرناطة وآثاره على منطقة المغرب العربي

جرت بين الأندلس واسبانيا النصرانية قبل سقوط غرناطة 1492م ، عدة أحداث ومواجهات ، أخذت هذه المواجهات عدة أشكال أبرزها الطابع الصليبي ، الذي حملت رايته في عديد المناسبات ، وليس من الضروري أن يقتصر معنى الحروب الصليبية على تعدد الجهات التي ترد منها الجيوش لتتجمع في حرب ضد المسلمين ، لكنها حتى لو كانت جبهة واحدة فهي تحمل هذه الروح ويهدف بها الحرب التي لا هدف لها ولا مبرر ، وعلى شكل من القسوة والإفناء الشامل [1].

فقد تخللت المدة التي سبقت عصر ملوك الطوائف أحداث ومصادمات ، تكون فيها اسبانيا النصرانية في دور المهاجم ضد الأندلس ، رغم وجود معاهدات ومواثيق معها ، ولكنها في أغلب الأحيان تنتهي بالعودة السريعة إلى سابق العهود ، وكانت اسبانيا النصرانية طوال تلك الفترة في موقف الضعيف رغم اتحادها ضد الأندلس .

أما في عهد ملوك الطوائف فقد تفككت الأندلس مما عجل بظهور قوة اسبانيا النصرانية التي نالت من الأندلس بضعفها أكثر مما نالت منها بقوتها ، لكن المرابطين والموحدين كانوا قد حافظوا على بقاء الأندلس حتى قامت غرناطة مملكة صغيرة منزوية في الركن الجنوبي لشبه الجزيرة الأندلسية ، لكن اسبانيا النصرانية بعد قيام غرناطة كانت معها في صراع أعنف وأكثر وضوحا بالنسبة لمسلمي غرناطة كما سنرى[2].

تأسست مملكة غرناطة المعروفة (بالأندلس الصغرى) ، على يد ابن الأحمر وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الذي استطاع أن يكون قوة احتفظت ببعض

---

[1] عبد الرحمن علي الحجي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة دار القلم ، دمشق ، ط2 ، 1981،ص 529.

[2] نفسه 530.

المناطق في جنوبي الأندلس ، وقد عمرت مملكة غرناطة رغم الصـــعوبات المتعددة في الداخل والخارج ما يزيد عن قرنين ونصف القرن ، توالى على حكمها خلال ذالك ما يزيد على عشرين حاكما من أسرة ابن الأحمر حتى سقوط المملكة بجيش الملكين الكاثوليكيين فرناندو الخامس وإيزابيلا ملكة قشتالة ، بعد حصار طويل[3]

شـهدت فترة إتحاد إسبانيا النصرانية عملية إصـلاح واسـعة ، انعكاسـا لطموح إيزابيلا في بناء مملكة قوية ، وما كانت لتكتمل دون إخراج الأندلسـيين من غرناطة أو القضـاء على وجودهم السياسـي فيها ، لذالك عملت إيزابيلا رفقة فرديناند على اسـتغلال الخلاف بين أفراد الأســرة المالكة في غرناطة ، والذي وقع بين العم وإبن أخيه أي بين محمد بن سـعد (الزغل) وابن اخيه محمد بن علي الملقب بأبي عبد الله الصـغير ، حيث قسـمت المملكة فيما بين الأميرين على أســـاس أن هذا الإجراء كان ضـــروريا ، فكان للزغل غرناطة ومالقة والمرية وإقليم البشــرات ، بينما كان لأبي عبد الله الصــغير حي البيازين وما تبقى من ذالك إلى إقليم مرسية الذي كان على حدود الولابات المسيحية [4].

وما يهمنا هنا أن فرديناند وإيزابيلا اســـتغلا الخلاف القائم في غرناطة وحركا آلة الحرب مرة أخرى ضد الأندلسيين ، بعد أكثر من قرنين من الخمول النسبي للحرب بين الجانبين وامتدت الحرب هذه عقدا كاملا من الزمن أي بين 1481م و1491م وبدأت باحتلال المدن الرئيسية في مملكة غرناطة ، وفرض حالة الحصار بالتعاون مع أساطيل البرتغال وإيطاليا لمنع حدوث الإمدادت التي قد تصـل من الشـمال الإفريقي إلى المملكة ، وبنهاية العقد التاسـع من القرن الخامس عشـر انحصـرت الحرب في المنطقة المحيطة

---

[3] نفسه 515.

[4] محمد عبده حتاملة ، محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها ، مطابع دار البعث ، ط1 ، عمان ، الأردن ، 1977، ص34.

بمدينة غرناطة ، وتم حصـــار المدينة بعد إحراق المحاصـــيل الزراعية[5] ، ويقدر بعض المؤرخين هذا الجيش الذي أعده لافتتاح غرناطة بخمســـين ألف مقاتل من الفرســـان والمشـــاة ويقدره البعض الآخر بثمانين ألفا ، وقد تم حصـــار المدينة في اليوم الثالث والعشرين من أفريل سنة 1491م ، وعسكر الجيش على ضفاف نهر شنيل في ظاهر قرية تسمى عتقة ، كما أنشئ فرديناند لجيشه في المكان الذي عسكر فيه مدينة جديدة تقيه برد الشـتاء إذا ما حل سـماها " مسـورة " ، وتم بناء هذه المدينة الجديدة في ثلاثة أشـهر ، وقد سـمتها الملكة إيزابيلا ب " سـانتا فيه " وتعني بالعربي الإيمان المقدس ، وذالك تنويها بالمغزى الديني لهذه الحرب الصليبية[6] .

كان موقف غرناطة الدفاع في صـيف 1491م ، فقد كانت منيعة بموقعها وأسـوارها وأبراجها والخيار الذي كان مطروحا أمام أهل غرناطة الاســـتمرار في القتال دون أمل بتحقيق الانتصار أو الاستسلام ، ولكن التطورات اللاحقة أكدت الخيار الأخير ، وبدأت مرحلة مباحثات التســـليم ، ولم يكن خيار التســـليم مقبولا لدى الأغلبية ، هكذا تســـقط غرناطة آخر حصن إسلامي في شبه الجزيرة الأندلسية [7]، ويورد المقري قول شاهد عيان أندلســـي وهو الفقيه الأديب المؤرخ أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي الآشـــي نزيل تلمسـان أنه تم الإسـتيلاء على مدينة غرناطة في محرم عام ثمان مائة وسـبعة وتسـعين

---

[5] عادل سعيد بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، مطابع انتر ناشيونال برس ، ط1 ، القاهرة ، مصر ، 1983م، ص 89.

[6] محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الرابع : نهاية الأندلس ،وتاريخ العرب المنتصرين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، 1997م ، ص101.

[7] عادل سعيد بشتاوي ، المرجع السابق ، ص 236.

897هـ ، ثم أنه قد يظهر من كلام بعضـــهم أن الصـــلح كان في محرم ودخول الجيش القصبة الحمراء كان في الربيع[8] .

وقد وقعت معاهدة التسليم بين حاكم غرناطة وملك قشتالة في 25 نوفمبر 1491م ، والتي نصـــت على أن يحتفظ المســـلمون في غرناطة بكل حقوقهم ، وأن تظل لهم مســـاجدهم وأن يقيم منهم من أراد ويهاجر من أراد في ظل العدل ، وأن يؤمن نســـائهم وممتلكاتهم ولا يغرمون ، ومن أراد الإقامة من المســـلمين بغرناطة فله الأمان ، وكتب بذالك كتابا وأخذوا عليه عهودا ومواثيق على أن يوفى بجميع ما جاء في شروطهم [9]

ولكن سرعان ما تناسى الإسبان كل تلك العهود ، وكان أول ما فعلوه تحويل مسجد غرناطة إلى كنيسة ، ثم بدأت سياسة الإضطهاد لمسلمي غرناطة الذين دخلوا في جملة المدجنين أي (المسلمين في مواطنهم تحت حكم النصارى) ، وقد ثار هؤلاء المسلمون على تلك المعاملة عديد المرات ، ولكن الأمر انتهى بطردهم من خلال عدة مراحل [10].

أما فيما يخص تعداد من هاجر من الأندلســـيين إلى بلدان المغرب العربي ، واتجاه هجراتهم ، فنجد ذالك بشكل مفصل في كتاب (نبذة العصر) لمجهول ، حيث يبين أن أهل مالقة خرجوا في ثلاثة أيام إلى باديس ، وخرج اهل ألمرية في نصـــف يوم إلى تلمســـان ، وخرج أهل الجزيرة الخضـــراء في نصـــف يوم إلى طنجة ، وخرج أهل رندة وبسطة وحصن موجر وقرية قرطوش وحصن مرتيل إلى تطوان وأحوازها ، وممن خرج

---

[8] شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني المقري ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، القاهرة ، مصر ن 1939م ، ص 66.

[9] محمد المنوني وآخرون ، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص ، شركة المدارس للنشر ، ط1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1991م ، ص 257.

[10] حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، مراجع عادل أبو المعاصي ومحمد دياب ، دار الرشاد ، القاهرة ، مصر ، ص 455.

إلى الجزائر وتونس أهل دانية وأهل جزيرة صـــقلية ، وخرج مابقي من أهل غرناطة في خمس عشر يوما إلى بجاية ووهران .[11]

عرفت بلاد المغرب العربي وحدة حتى القرن الثالث عشر ميلادي تحت قيادة السلطة الموحدية ، وانضـــمت إليها الأندلس التي كانت تعتبر من أكبر الدويلات في العصـــر الوسيط الإسلامي ، حيث ساد خلال هذه الفترة التفوق الموحدي على جميع المستويات ، ولم تكن هناك قوة تنافسهم وتقف في طريق توسعاتهم.

بعد ســـقوط دولة الموحدين انقســـمت بلاد المغرب العربي إلى ثلاث دول هي على التوالي ، دولة بني حفص في تونس وهي تمتد من طرابلس في الشرق إلى شرق المغرب الأوسط ، ودولة بني زيان بالوسط والغرب من أرض الجزائر ، ودولة بني مرين بالمغرب الأقصـــى ، فقد ســـادت الفوضـــى والتطاحن بين هذه الدول من جهة ، وداخل كل دولة منها من جهة أخرى ، إضافة إلى الحملات الإسبانية والبرتغالية على السواحل المغاربية ، فكانت هذه الحملات تحمل الطابع الصـــليبي ، بداية من تدخل البابا وفق معاهدة ثوردي سيلاس سنة 1495 والتي تقتسم منطقة المغرب العربي بين إسبانيا والبرتغال.

إن الدافع الأســاســي لمهاجمة وغزو الصــليبيين لســواحل شــمال إفريقيا هو ملاحقة بقايا الموريسكيين الذين هاجروا بعد سقوط غرناطة ففي سنة 1505م انطلقت الأرصاد الإسبانية للعمل كي تسبق اتصال المهاجرين بالدولة العثمانية القوية.[12]

وهكذا يتحول الصراع الصليبي الإسلامي من بلاد الأندلس إلى شمال إفريقيا وعلى الخصوص الجزائر وتونس، حيث سعى الأوربيون من خلال هذا الصراع إلى السيطرة على

---

[11] مؤلف مجهول ، نبذة العصر أخبار ملوك بني نصر ، تحقيق الفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ، بورسعيد ، مصر ، 2002، ص 48.

[12] وليام سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، ص 34.

البحر الأبيض المتوسط ، بداية من احتلال العديد من المناطق في بلاد المغرب على غرار وهران والمرسى الكبير في المغرب الأوسط على سبيل المثال ، أما في الجانب الاقتصادي وخاصة التجارة، فقد تراجع النشاط التجاري على مستوى الموانئ المغاربية والتي كانت همزة وصل بينها والأندلس ... وهذا ما أدى إلى الضعف الاقتصادي.

لقد كان لهجرات الأندلسيين إلى بلاد المغرب على إثر سقوط غرناطة آثارا على الحياة العامة في المنطقة ، كالإدارة ومشاركتهم إلى جانب المغاربة في الحروب ...إلخ

أما في المجال الاقتصادي فقد استفادت المنطقة من التجربة الأندلسية من خلال الصناع والتجار والفلاحون الذين تميزوا في أساليب الري ما أدى إلى تطور النشاط الفلاحي والبحارون والحرفيون الذين نقلوا العديد من الحرف التي لم تكن موجودة في بلاد المغرب أما في الجانب الاجتماعي فقد أدت الهجرات إلى الارتفاع الديمغرافي عموما ، أما ثقافيا فقد كانت بصبتهم واضحة من خلال طرق التدريس ... وأصبح الخط الأندلسي شائعا أكثر من الخط المغربي نفسه[13] .

ثانيا: أوضاع الدول المغاربية في أوآخر القرن 15 ومطلع القرن16م:

[13] أنظر ، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط لمريم خاوش ، تحت عنوان آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط .

إذا كان التاريخ الأوربي الحديث ينطلق من النهضة التي بدأت في المدن الإيطالية وشملت تدريجيا بقية بلدان القارة لتصبح السمة المحددة للتحولات الكبرى المادية منها والفكرية والسياسية،فإن المسألة تبدو أكثر تعقيدا بالنسبة لبلدان المغرب العربي.

وفي الوقت الذي سجلت فيه أوربا قفزة نوعية مكنتها من امتلاك أدوات الحداثة وأهلتها لكي تتبوأ مرتبة التفوق فالهيمنة لتصبح بسرعة المنوال العالمي،دخلت بلدان المغرب العربي مرحلتها الحديثة وهي منهوكة القوى متأزمة الأوضاع،دولها متداعية متساقطة،مجتمعاتها مفككة وأبوابها مفتوحة أمام الغزو الخارجي[14].

ومثلما اقتسمت اسبانيا والبرتغال ما وراء المحيط فقد اقتسمتا الفضاء المغاربي الذي تكاثفت فيه مصالحهما وحدد ذلك حسب اتفاقية « تورداسيلاس» لسنة 1494م .واعتبر خط مليلة الحد الفاصل بين المجالين،ففي حين اقتصر المجال البرتغالي على سواحل المغرب الأقصى امتد المجال الإسباني من مليلة إلى طرابلس الغرب[15].

وإذا كانوا البرتغال و الإسبان قد افتتحوا هذه الصفحة الاستعمارية في القرن الخامس عشـــرة بهجماتهم المتتالية على الثغور المغربية المطلة على البحر المتوســـط والمحيط الأطلسي فقد شهد القرن التاسع عشر موجة أخرى من هذه الموجات متمثلة في نشاط القوى البحرية والدول العظمى الأخرى التي بدأت تدخل هي الأخرى ميدان الاستعمار،فقد تنافس الفرنســيون والانجليز والإيطاليون والألمان على بســط نفوذهم على بلاد المغرب العربي[16]

---

[14] دلندة الأرقش وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال مصادره،مركز النشر الجامعي،2003،ص9.

[15] نفسه،ص10.

[16] شوقي عطا الله الجمل:المغرب العربي الكبير،ط1،مكتبة الأنجلو مصرية،2009،ص4.

ولئن كان الوازع الديني حاضـــرا في هذه الحملات التوســـعية فقد كان يخفي أطماعا كبيرة في السيطرة على كل المسالك التجارية وضرب الحصار على البلدان المغاربة،ولعل تركيز ذلك التوســـع على النقاط الســـاحلية لدليل واضـــح على هذه الغاية.وأما المواجهة المغاربيـة تجـاه الغزو الإبيري فقد تمحورت حول قوى اختلفت مصـــــادرها بـاختلاف خصـــوصـــيات كل بلد وظرفيته رغم الالتقاء في خاصـــية واحدة صـــبغت مختلف ردود الفعل[17].

ومن الطبيعي أن ترفع راية الإســـلام وأن يشـــهر ســـيف الجهاد والبلاد من غربها إلى شرقها مستهدفة من طرف القوى الأوربية المسيحية.لكن ولئن برزت في المغرب الأقصى قوى محلية كانت مؤهلة لقيادة حركة الجهاد ولطرح نفسها سلطة بديلة للسلطة الوطاسية الفاشلة مغلقة بذلك الباب أمام الوصاية الدينية للعثمانيين،فقد أختلف الوضع في كل من المغرب الأوسط وتونس حيث فشلت كل القوى المحلية في صد الغزو الإسباني،فكان من الطبيعي أن يتزعم العثمانيون حركة الجهاد وأن يعتلوا كرسي الحكم[18].

و تصـنف الغارات التي كانت تشـنها الدول الأوربية على السـواحل المغاربية ضـمن إطار الحروب الصـــليبية التي حاول الأوربيون إحياءها بعد أن فشـــلت في المشـــرق الإسلامي خلال القرنين 11و12م.وساعدهم على ذلك نجاح الإسبان في طرد المسلمين من الأندلس،ونجاح الأتراك في غزو شـــرق أوربا،وبســـط نفوذهم عليه.كما تدخل هذه الغارات في إطار القرصـــنة البحرية التي باركتها الحكومات الأوربية كمصـــدر للكســـب

[17] دلندة الأرقش وآخرون:المرجع السابق،ص11.

[18] نفسه.

والغنم،وكوسيلة لتحطيم قوة المسلمين وإذلالهم،وتمهيد الطريق لاستعمار بلدانهم بعد ذلك،وتفنن القراصنة الأوربيون في ممارستها بمرور الزمن[19].

ومن ضمن أسباب ودوافع هذه الغارات والاعتداءات الأوربية – الإسبانية والبرتغالية– على البلدان المغاربية نذكر ما يلي:

1- ظهور الدولة الوطنية الحديثة بأوربا،ورغبتها في التوسع الاستعماري خارج القارة.

2- الحقد الديني والسياسي ،الموروثان عن الحروب الصليبية ضد الشعوب الإسلامية عامة،والرغبة في الانتقام منها،على أرض شمال إفريقيا الغربي.

3- رغبة الإسبان والبرتغاليين،في وضع حد لنشاط مسلمي الأندلس المطرودين،ومنع بلدان المغرب من تقديم يد العون والمساعدة لهم.

4- احتلال مواقع إستراتيجية بصفة دائمة،واتخاذها منطلقا للتوسع الاستعماري داخل البلاد للاستغلال الاقتصادي والبشري.

الرغبة في نشر الديانة المسيحية،ومقاومة الإسلام في عقر دياره[20].

كما أن الفتح العثماني للقسطنطينية في عام 1453م كان له من الناحية الأخرى تأثيرا ضخم على مجريات الأحداث فيما يتعلق بأوربا وموقفها من العالم الإسلامي،فقد كان لسقوط عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في يد هذه الدولة الإسلامية الفتية دوي هائل في أوربا حتى أن الكنائس دقت أجراسها الدقات الجنائزية حدادا على هذا الحدث الجلل.ودعا البابا إلى حروب صليبية جديدة ضد القوى الإسلامية التي تهدد العالم المسيحي ،وكان من الذين استجابوا لهذا النداء الفونس الخامس ملك البرتغال[21].

---

[19] يحي بوعزيز:مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1999،ص43.

[20] نفسه.

[21] عطا الله الجمل: المرجع السابق،ص50.

المحـــور الثاني

أولا: المد العثماني الى الحوض الغربي للمتوسط

ففي سنة 1494 عقدت البرتغال وإسبانيا اتفاقية لتقسيم مناطق النفوذ بينهما.وقد عرفت هذه الاتفاقية بـ "اتفاقية توردي سيلاس Tordesillas "، تم بموجبها تقسيم

المستعمرات،بحيث كانت الأقاليم الشرقية من نصيب البرتغال،والغربية من نصيب إسبانيا[22].

أما بالنسبة لشمال إفريقيا ،فقد أضيفت لها اتفاقية أخرى سنة 1509م عرفت بمعاهدة "فيلا فرنكا" ، تم بمقتضاها جعل المستعمرات الإسبانية في الشرق
(الجزائر ،تونس،طرابلس)،والمستعمرات البرتغالية في الغرب أي في المغرب.

والجدير بالذكر أن اسباينا شرعت منذ عقد اتفاقية توردي سيلاس في تموز 1494م في العمل على احتلال سواحل الجزائر،وتونس ،وليبيا. حيث تم احتلال ميناء المرسى الكبير،وميناء وهران قبل عقد الاتفاقية المتممة في 1509م التي باركها **البابا اسكندر بورجيا ALEXANDDREVI BORGIA** معطيا بذلك الصبغة الدينية والرسمية لما جاء بعدها من حملات استعمارية لمدن الساحل الشمال الإفريقي[23].

وقد صمم الملوك الكاثوليك تنفيذا لوصية الملكة الإسبانية "ازابيلا" أن يخضعوا لبلدانهم جميع بلدان الشمال الإفريقي،حيث قال المؤرخ الفرنسي دي غرامون:"بمجرد سقوط غرناطة 1492 كلفت "ازابيلا" ملكة قشطالة وزجة الملك فرديناند الخامس ملك "الأراغون" حاكم مدينة القلعة في الأندلس بمهمة جاسوسية، تتمثل في استطلاع الأمور والمواقع في تلمسان عاصمة الزيانيين للإعداد لاستعمارها[24].

فذهب " لورنتزو" متنكرا في زي تاجر تلمساني،حيث أمضى أكثر من سنة رجع من بعد بمعلومات ثمينة لحملة الغزو التى كانت اسبانيا بصدد الإعداد لها.وفي نفس الوقت استدعى "الكردينال أكسيمينيس" المعروف بعدائه الشديد للمسلمين المهندس البحري

[22] محمد دراج:الدخول العثماني إلى الجزائر،ط1،الأصالة للنشر والتوزيع،الجزائر ،2012، ص ص99.
[23] نفسه،ص100.
[24] عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ،ج2،دار المعرفة ،الجزائر،ص 56.

"جيرونمو فينالي" الذي كان يعرف ساحل الشمال الإفريقي معرفة جيدة إلى اسبانيا.وبعد جمع كل هذه المعلومات قررت الملكة ايزابيلا غزو مملكة تلمسان ،فجندت 12000 جندي تحت قيادة "الكونت دي تنديا" وتبرعت ايزابيلا من مالها الخاص.ولكن موتها سنة 1504م أوقف الحملة مؤقتا.وقبل وفاتها كتبت في وصيتها ما يلي:" إنه لا ينبغي إيقاف غزو إفريقيا،ولا إنها الحرب ضد الكفار(تعنى المسلمين) من اجل العقيدة[25].

وكان الملك فرديناند يرغب في تأجيل هذه الحملة،لكن انتصاره على الفرنسيين،وجرأة المسلمين الذين كانوا يغيرون على سواحل إسبانيا انطلاقا من السواحل الشمال إفريقية انتقاما لإخوانهم في الأندلس ،دفعت فرديناند إلى التعجيل بتنفيذ مشروع الحملة.

وهكذا شرعت إسبانيا في الإعداد لهذه الحملة التي وضع البابا من أجل إنجاحها كل الإمكانيات البشرية والمادية تحت تصرف إسبانيا.فجمع القساوسة والرهبان كنوز الكنائس الثمينة لتزويد جيوش الحملة الصليبية على سواحل المغرب الإسلامي[26].

كانت الدولة العثمانية قد غدت في أوائل القرن السادس عشر أعظم قوة في المشرق الأدنى وفي الحوض الشرقي للبحر المتوسط،وكانت تمثل القوة الإسلامية الفتية،خاصة بعد أن نجحت في الاستيلاء على أملاك الدولة المملوكية في الشام ومصر والحجاز واليمن،والى ذلك الوقت لم تلعب البحرية العثمانية دورا بارزا في حروبهم فقد كانت الجيوش البرية هي صاحبة الفضل في مجدهم الحربي.

---

[25] نفسه.

[26] محمد دراج:المرجع السابق،ص ص 101-102.

وقد تعرضـــت البلاد العربية في شـــمال إفريقيا للخطر والأطماع الاســـتعمارية البرتغالية والإســـبانية،فكان الأمر يســـتلزم دولة فتية تظاهرها قوة بحرية لمواجهة هذا الخطر المحدق ببلاد الإسلام في الشمال الإفريقي[27].

ولئن كانت الغنيمة وراء تحول "عروج" من الحوض الشـــرقي إلى الحوض الغربي للمتوسـط،فإن اسـتجاب أيضـا بدون تردد لنداءات مورسـكي الأندلس الفارين من محاكم التفتيش ومن القمع المســـيحي،فأصـــبح مثالا للبطل الإيجابي وتســـارعت مدن المغرب للاستنجاد به لتخليصـها من السيطرة المسيحية. لقد وجد "عروج" في ميناء حلق الوادي أحســـن قاعدة لتحركاته الجهادية فركز فيها قوته بموافقة الســـلطان الحفصـــي الذي كان يحظى بخمس الغنيمة،فأصبحت حلق الوادي ملجأ لمراكبه ومشتى لرجاله[28].

كانت الدولة العثمانية قد غدت في أوائل القرن السادس عشر أعظم قوة بحرية في الشرق الأدنى وفي الحوض الشرقي للبحر المتوسط،وكانت تمثل القوة الإسلامية الفتية خاصة بعد أن نجحت في الاستيلاء على أملاك الدولة المملوكية في الشام ومصر والحجاز واليمن،والى ذلك الوقت لم تلعب البحرية العثمانية دورا بارزا في حروبهم فقد كانت الجيوش البرية هي صاحبة الفضل في مجدهم الحربي

وقد تعرضت البلاد العربية في شمال إفريقيا للخطر والأطماع الاستعمارية البرتغالية والإسبانية فاستولت على الجزائر وتونس وطرابلس فكان الأمر يستلزم دولة فتية تظاهرها قوة بحرية لمواجهة هذا الخطر المحدق ببلاد الإسلام في الشمال الإفريقي[29].

لقد لاحظ الباحثون أن الكثير من البحارة الأتراك كانوا يجوبون البحر بمبادرة فردية مستقلين بأنفسهم، ينقلون الأسلحة إلى الأندلس،أو مدافعين عن موانئ إفريقيا الشمالية ضد هجمات الغزاة الأوربيين.كما كان يعمل بعضهم في خدمة السلطان الحفصي أو غيره من

---

[27] عطا الله الجمل: المرجع السابق،ص95.

[28] دلندة الأرقش وآخرون:المرجع السابق،ص38.

[29] شوقي عطا لله الجمل:المرجع السابق،ص 95

السلاطين المحليين أو على الأقل يتلقون تشجيعا منهم.وبالنظر إلى الدور الدفاعي والانتقامي الذي كان يقوم به هؤلاء البحارة صار الأهالي ينظرون إليهم على أنهم أبطال ومدافعون عن المسلمين.فكانوا يستقبلون بحرارة في موانئ المغرب حيث اعتادوا على قضاء فصل الشتاء لإصلاح سفنهم وبيع غنائمهم،وتعويض خسائرهم البشرية[30].

وقد تعود هؤلاء الغزاة على الاستعانة بالمسلمين الأندلسيين الذين أجبروا على التظاهر بتغيير دينهم،حيث كانوا يمدونهم بالمعلومات اللازمة ليقوموا بهجماتهم على السواحل الإسبانية.مما دفع سكان الموانئ الإسبانية إلى رفع شكاوى إلى الملكة إيزابيلا(1) معلنين أنهم لم يعد في مقدورهم دفع الضرائب إذا لم يعد بإمكانهم ممارسة التجارة مع الخارج ،وزراعة أراضيهم بفعل غارات البحارة الأتراك والمغاربة.

وكانت القواعد الرئيسية لنشاط هؤلاء البحارة ممتدة على طول الساحل الشمالي الإفريقي كطرابلس، وجربة، وبجاية،الجزائر ،وتنس ،ووهران،والمرسى الكبير[31].

1-الحملات البحرية للاخوة بربروس لتحرير الجزائر من العدوان الاسبان

تشير المصادر التاريخ إلى انع روج وخير الدين وإسحاق أبناء لأب من أصل تركي بإقليم الروملي اسمه يعقوب بن يوسف كان يقطن بجزيرة مدلي في الأرخبيل اليوناني،ويحترف صناعة الفخار،ولد عروج حوالي 1473م وخير الدين في العام الموالي وكان عروج وخير الدين يبيعان الفخار لأبيهما في الجزائر اليونانية بواسطة بعض المراكب،وفي إحدى المرات وقع عروج أسيرا وبيع عبد الشخصين بجزيرة رودس.وفي أثناء توجهه إلى مصر كمجدف في سفينة تحمل الأسرى مسلمين جرى افتدائهم بالمال،اغتنمي فرصة حدوث زوبعة بحرية ففر من المركب[32].

---

[30] محمد دراج: المرجع السابق،ص ص 178-179

[31] محمد دراج: المرجع السابق،ص 179.

[32] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص ص 10-11

وأشـارت المصـادر إلى أن روج عندما نجا من الأسـر،لجأ إلى مدينة أنطاليا حيث عمل مسـاعدا لقبطان أحد السـفن التي كانت متوجهة إلى مصـر .وحينما وصـل إلى مصـر اسـتقر بها فترة من الزمن تمكن من خلالها من مقابلة سـلطانها "قانصـوى الغوري"،والدخول في خدمته.

في هذه الأثناء كان سلطان مصر يقوم بإعداد أسطول بحري، بغية إرساله إلى الهند. فكلف عدة سفن بالتوجه إلى خليج باياس لإحضار الخشب اللازم لإنشاء الأسطول.وكانت سفينة عروج ضمن السفن المتوجهة إلى الخليج. وعندما وصلت السفن إلى الميناء تعرضت لهجوم مفاجئ من طرف قراصنة رودس،الذين استطاعوا إحراق السفن والأخشاب ،وأضطر البحارة إلى الفرار والتفرق في المناطق المجاورة[33].

عاد عروج مرة أخرى إلى انطاليا،واتصل بالأمير الشاه زادة قرقود،حيث منحه سفينة ذات 18 مقعدا،مجهزة بكل اللوازم.فأنطلق بها عروج إلى رودس،مغيرا بها على عدد من الجزر القريبة منها.الأمر الذي أثار جوا من الهلع في أوساط الأهالي الذين هرعوا الى حاكم الجزيرة طالبين منه بذل أقصى ما يمكن من الجهود لتامين الحماية لهم ولأمواله.فأمر الحاكم بمطاردة عروج والبحث عنه في كل ميناء.فأنطلق الرودسيون يبحثون عن عروج في كل مكان،الى أن صادفوه راسيا بسفنه في إحدى الموانئ فباغتوه بهجوم مفاجئ إلا أنه تمكن من الفرار برجاله إلى المناطق المجاورة[34].

تدارس الأخوان مستقبل عملهما في غرب البحر المتوسط،وتوصلا الى قناعة بضرورة التوجه إلى تونس لمقابلة سلطانها أبي عبد الله محمد الحفصي (1494-

[33] محمد دراج: المرجع السابق،ص 180.

[34] نفسه ،ص 181.

1526) الذي كانت تربطه بالأتراك علاقات جيدة،منذ قيامه بمباردة الصلح بين العثمانيين والمماليك في عهد بايزيد الثاني[35]عام 1494م. توجه الإخوان بربروس ومن سار معهم من البحارة إلى سلطان تونس،وقدموا له الهدايا،ثم طلبوا منه أن يمنحهم مكانا يجعلونه مركزا لهم يرسون فيه،ويقضون فيه الشتاء،فوافق السلطان على ذلك مقابل دفع خمس الغنائم له[36].

فأخذا الأخوة يجاهدون ضد القراصنة المسيحيين وبخاصة الأسبان والبرتغاليين،ولما كانت جربة بعيدة عن ميدان الجهاد الحقيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط حيث كثرت هجمات الأسبان على السواحل الإفريقية فقد اتفقوا مع الأمير الحفصي على نقل مركزهم العسكري من هناك إلى حلق الوادي في أقصى شمال شرق تونس في نفس العام تقريبا[37].

---

[35] بايزيد الثاني بن محمد الفاتح هو ثامن السلاطين العثمانيين، عاش بين عامي 1447و 1512، وتقلد الحكم منذ عام 1481 ، عرف عنه أنه كان يؤلف الشعر، ويؤلف الموسيقى ويتقن فن الخط العربي ولد بايزيد في القرن التاسع الهجري، وكان أكبر أولاد أبيه السلطان محمد الفاتح .حكم في عهد أبيه مقاطعة أماسيا .تولى السلطنة بعد أبيه بعد أن نازعه أخوه جم عليها. حصلت خلافات في عهده بين دولته والدولة المملوكية وتحاربت الدولتان حربا تم إبرام صلح بعدها. وصلت الفتوحات في عهده لدولة البندقية التي انتصر عليها، فاستنجدت بملك فرنسا والبابا، فقامت حروب صليبية بين الطرفين. ظهرت في عهده دولة روسيا سنة 886هـ وأرسلت له سفيرها عام 897هـ . أجبر من قبل الإنكشارية في آخر حياته على التنازل عن الحكم لابنه سليم الأول سنة 918 هـ وهي نفس السنة التي توفي فيها. ينظر :http://www.marefa.org

[36] محمد دراج :المرجع السابق،،ص 183.

[37] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص 11.

بعد استقرار الأخوين عروج وخير الدين[38] في جربة،شرعا بحلول عام 1512 في شن غارات كبيرة على مختلف السواحل والموانئ الأوربية الغربية وجزرها،مثل سردينيا،ونابولي، بالإضافة إلى تعرضهم إلى السفن الأوربية التي كانت تجوب البحر المتوسط محملة بالبضائع أو الجنود،فغنما من ذلك غنائم هائلة قدما بها إلى جزيرة جربة حيث قاما ببيعها،ودفع خمس الغنائم إلى السلطان،وتصدقا على الفقراء والأهالي.فأزداد كل من السلطان التونسي وأهالي تونس بهما تعلقا.وذاع صيتهما في كل سواحل غرب البحر المتوسط،وأثارا موجة من الرعب فيها.

قررت اسبانيا إرسال أسطول متكون من 10 سفن للقضاء على الأخوة بربروس ومن معهم من الأتراك.ولكن قبل وصول السفن الإسبانية كان البحاران التركيان قد توجهها إلى جنوة للإغارة عليها.غير أن مخالفة الرياح أجبرتهما على اللجوء إلى سواحل بجاية الجزائرية[39]

---

[38] يعود أصل الأخوين عروج وخير الدين إلى الأتراك المسلمين، وكان والدهما يعقوب بن يوسف من بقايا الفاتحين المسلمين الأتراك الذين استقروا في جزيرة مدللي إحدى جزر الأرخبيل، وأمهم سيدة مسلمة أندلسية، كان لها الأثر على أولادها في تحويل نشاطهم شطر بلاد الأندلس التي كانت تئنّ في ذلك الوقت من بطش الأسبان والبرتغاليين. وكان لعروج وخير الدين أخوان مجاهدان، هما إسحاق ومحمد إلياس. وقد حقق الأخوان العديد من الانتصارات على القراصنة المسيحيين الأمر الذي أثار إعجاب القوى الإسلامية الضعيفة في هذه المناطق، ويبدو ذلك من خلال منح السلطان "الحفصي" لهم حق الاستقرار في جزيرة جربة التونسية،ويرجع بعض المؤرخين التحالف بين الجانبين إلى سنة 1514م في أعقاب فتح عروج وخير لميناء "جيجل" حيث أرسل الأخوان إلى السلطان سليم الأول مجموعة من النفائس التي استوليا عليها بعد فتح المدينة، فقبلها السلطان ورد لهما الهدية بإرسال أربع عشر سفينة حربية مجهزة بالعتاد والجنود، وكان هذا الرد من السلطان العثماني يعكس رغبته في استمرار نشاط دور الأخوين ودعمه. على أن بعض المؤرخين يذكرون أن الدعم العثماني لهذه الحركة كان في أعقاب وفاة "عروج" سنة 1518م وبعد عودة السلطان العثماني من مصر إلى إستانبول سنة 1519م ينظر: http://islamstory.com/ar

[39] محمد دراج: المرجع السابق،ص ص 188-189.

2- محاولة تحرير بجاية[40] من الأسبان 1512م:

منذ عام 1512م بدأ نجم الإخوة الأتراك يخترق الأفاق،وأخذ الناس يسمعون عن انتصاراتهم الرائعة ضد القراصنة الأسبان في عرض البخر الأبيض المتوسط وفي شواطئ الأندلس نفسها.ولذالك اتصل بهم العلماء وأعيان بجاية[41].

لعل أول اتصال لعروج بالجزائر كان سنة 1512،حين طلب منه الأهالي بجاية مساعدتهم على طرد الأسبان واستعادة مدينتهم المحتلة منذ عامين هذه الدعوة سوف تحدث منعرجا كبيرا في حياة عروج ورفاقه القراصنة،كما سوف تحدث منعرجا كبيرا في التطور السياسي للجزائر والمغرب.

جاء عروج إلى بجاية في شهر أوت 1512م على رأس 12 قطعة بحرية محملة بالمدفعية والذخيرة وألف تركي وبعض الأهالي،واصطدم في معركة بحرية قبالة بجاية،بسف اسبانية تمكن من إغراق سفينتين منهما والاستيلاء على الأخرى فتح نيران مدافعه على تحصين رئيسي من تحصينات بجاية المتمثل في قلعة كان بيدرونافارو ،قد أعاد بنائها،في الوقت الذي نزلت فيه قوات الأهالي البرية نحو المدينة.بعد ثمانية أيام من الحصار والقصف المدفعي أصدر عروج أمر اقتحام العام،لكن قذيفة سقطت على

---

[40] بجاية اسم خالد في تاريخ المغرب العربي بشكل عام ، والجزائر بشكل خاص ، أقام فيها الفينيقيون والرومان والوندال والبيزنطيون خلال عصور غائرة في أعماق الماضي , وعرفها المسلمون حين أصبحت عاصمة للدولة الحمادية ، إحدى كبريات الدول الإسلامية المؤثرة التي سادت الشمال الأفريقي فترة من الزمن. ومدينة بجاية هي ثاني عاصمة لدولة بني حماد ، أما عاصمتهم الأولى فقد كانت مدينة القلعة المشهورة بـ \"قلعة بني حمادا\" التي اختطها الأمير حماد بن زيري بن مناد بن بلكين ، في حدود عام 398هـ (1007 – 1008م). للمزيد ينظر: http://midad.com/article/197375

[41] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص 11.

ذراعه الأيسر أوقفت العمليات،وتفرق الجمع البري والبحري.واتجه عروج نحو تونس،بعد أن فقد أخاه إلياس في هذه المحاولة الأولى[42].

3-الوصول الى مدينة جيجل والتمركز بها 1514م:

لقد تأثر عروج بعد خيبة بجاية في ،وأدرك أن تمركزهم بحلق الوادي يبعدهم عن ميدان المعركة ولا يساعد على التفوق على الأسبان ولذلك قرروا البحث عن مركز جديد لهم يكون قريبا من بجاية ووجدوا انج يجل أحسن مكانا لهم للتمركز والاستعداد،وكانت مدينة جيجل بين افريقيا وايطاليا[43].

والجدير بالذكر أن "الجنويين" كانوا يحتلون جيجل منذ سنة 1260م،حيث جعلوا منها مركزا للتبادل التجاري بين ايطاليا وإفريقيا.ثم بدأ المركز يفقد أهميته شيئا فشيئا إلى تغلب أهل البلاد على الحامية.

ولكن الأميرال أندري دوريا أعاد احتلال جيجل،واخرج أهلها منها،ووضع بها حامية تعمل لحساب "جنوة"[44].حتى يعيد للمركز أهميته الأولى.وقد كان ذلك بعد فشل المحاولة الأولى لتحرير بجاية التي قام بها الإخوان بربروس في 1512م وقد طلب أهالي جيجل من عروج التدخل لتحرير مدينتهم من الاحتلال،فأجابهم عروج إلى ذلك،وهاجم القلعة

---

[42] صالح عباد: المرجع السابق،ص44.

[43] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص 12.

[44] جنوة مدينة شمال غرب إيطاليا عاصمة إقليم ليگوريا وعاصمة مقاطعة جنوا ، ميناءها الأهم في إيطاليا وأحد أكبر موانئ البحر الأبيض المتوسط وعلى مقربة من الحدود الفرنسية، المركز التاريخي للمدينة أعدته اليونسكو ضمن مواقع التراث العالمي. تم تأسيس مدينة "جنوا" في القرن السادس قبل الميلاد من قبل القبائل "الليگورية" الأصلية، وقامت روما بالاستيلاء عليها بعد مرور أربعة قرون من ذلك الوقت،ينظر :http://www.marefa.org.

سـنة 1514م حيث تمكن من القضـاء على حاميتها الجنوبية.وترك بها 50 جنديا،و3 سفن لحمايتها[45]

كانت الغنائم التي حصـل عليها كبيرة بلغ عدد الأسـرى حوالي 600 أسـير .أرسـل عروج هؤلاء الأسرى إلى السلطان العثماني،تحت رقابة احد قراصنته يعرف باسم محي الدين رايس.هذه المرة الأولى التي يتصل فيها عروج بالدولة العثمانية في اسطنبول،على ما يبدو.لقد بايع الجميع عروج سـلطانا لجيجل.يبدو أنه منذئذ أخذ يبتعد عن الدولة الحفصية في تونس،لأنه كان يعلم أن الحفصيين يسعون لاسترجاع من أقاليم كانت لهم في الماضـي القريب،ومنها منطقة جيجل. لهذا بدأ يتقرب من الدولة العثمانية حيث نقل مقره من تونس إلى هذه المدينة الحصـينة بالسـلسـلة الجبلية التي تحيط بها،والتي توفر ملجأ منيعا في حالة الشـدة.لعل هذا ما يفسـر تنظيمه للحملة الثانية على بجاية من دون علم الحفصيين[46]

4- تكرار المحاولة لتحرير بجاية:1514م:

أهتم عروج وإخوته بعد اسـتقرارهم في جيجل بأمر المسـلمين المضـطهدين بالأندلس فأخذوا يترددون بأسطولهما على شواطئ الأندلس وينقلان المهاجرين إلى شمال إفريقيا ولم يكتفوا بهذا بل فأغار خير الدين على جزر البليار وأسـر ما يقرب من سـتة الألف أسـير اسـباني كانتقام من الأسـبان،ونظرا للنجاح الذي حققه عروج بجيجل فقد بايعه سكانها أميرا عليهم واستحثه شيوخ القبائل وأمير جبل كوكو[47].أحمد بن القاضـي

---

[45] محمد دراج: المرجع السابق،ص ص 191-192.

[46] صالح عباد: المرجع السابق،ص45.

[47] امارة كوكو أسسها القاضي سيدي احمد أوالقاضي،سنة 1510م، اشتملت على بلاد زواوة التاريخية أو بلاد القبائل .دامت من 1510إلى 1857 وقرية كوكو هي قرية قبائلية من بلدية آيت يحي من دائرة عين الحمام، من ولاية تيزي وزو الجزائرية ينظر :https://ar.wikipedia.org .

على إعادة الكرة على الأســبان في بجاية فنظم حملة عليهم ســنة 1514م بجيش بري وحاصــرها ما يقرب من ثلاثة شــهور دون جدوى واضــطر إلى رفع الحصــار،وكرر المحاولة في ربيع العام الموالي بقوة برية كبيرة ولكن نفاذ الذخيرة الحربية وامتناع الأمير الحفصــي بتونس عن تزويده بالذخيرة اضـطره إلى الانسـحاب منها بعد أسـر عدة مئات من الأسبان بلغ 600 [48].

فشـل الأتراك للمرة الثانية في تحرير بجاية،ولكن المفشـل في هذه المرة بسـب خذلان الملك الحفصـــي لهم،بامتنـاعـه عن تزويـدهم بمـا يحتـاجون إليـه من البـارود.لقـد كـان الســلطان الحفصــي يعلم يقينا أن دوره ســيأتي يوما.ولذالك فان منطقة المحافظة على العرش جعله يغض الطرف عن مصــالح بلده وشــعبه.ففضــل أن تبقى المدينة تحت الاحتلال على أن تتحرر من الاحتلال،خوفا من ان يجلس على عرشــها جميع رجال الحامية الإسبانية.

ونحن قد يســهل علينا فهم الظروف التي قد تدفع بمثل هذه القبائل إلى التخلي عن القتال كلما تغيرت منافعها ومصــالحها،ولكن الذي لم نفهمه هو ســبب انســحاب الجنود الأتراك.إلا أن يقال بان تأخر وصــول البارود،وانصــراف القبائل أوجد شــعورا بالإحباط واليأس من فتح القلعة فتركوا القتال غير المجدي،مما أجبر عروج إلى رفع الحصـــار والانسحاب إلى جيجل[49].

5-المحاولة الأولى لتحرير قلعة البنيون:1515م

سارع سكان مدينة الجزائر عندما رأوا سقوط وهران وبجاية في يد الأسبان،وتعرض أهاليهما إلى التقتيل والتعذيب والاسـترقاق،خشـوا أن يصـيبهم ما أصـاب المدينة فأرسـلوا

[48] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص 12.

[49] محمد دراج: المرجع السابق،ص ص 197-198.

وفدا إلى أســـبانيا برئاســـة الشـــيخ ســـالم التومي[50].بمشـــاركة وفد عن مدينتي تنس ودلس،للاتفاق على شروط معاهدة تضمن لهم سلامتهم وسلامة مدينتهم.وبالفعل تمكن الوفد من عقد اتفاقية تضـــمنت شـــروطا كثيرة أهمها: أن يدفع الأهالي جزية ســـنوية للأسـبان،وأن يسـمحوا لهم ببناء قلعة على الجزيرة المقابلة للمدينة عرفت فيما بعد بقلعة البنيون[51].

لقد كانت تلك القلعة تهدف إلى إخضـــاع المدينة ووضـــعها تحت مراقبة الحامية الإســـبانية.وعند تأخر المدينة في دفع الجزية الســـنوية المتفق عليها،أو نشـــوب أي خلاف،كان الأسبان يقومون بقصف المدينة بمدافعهم المنصوبة على أسوار القلعة.وهكذا وجد الأهالي مدينة الجزائر أنفسهم تحت حصار محكم،لا يقدرون بسببه على القيام بأي نشاط بحري دون إذن الحامية الإسبانية[52]

كانت المدينة مضطربة ،استلامها للأسبان ،بسب الانقسامات التي حصلت بين سـكانها،بخصـوص تلك الضـريبة التي تدفعها لهؤلاء المحتلين.فالشـيخ سـالم التومي وحاشيته كانوا متمسكين بتطبيق تلك المعاهدة.في حين كان وجهاء المدينة يرون عكس ذلك.عند وفاة الملك الأسـباني عمت الفرحة في المدينة واعتبر سـكانها المعاهدة انتهت مع موت الملك الذي فرضـها،وان الوقت قد حان لتستعيد المدينة حريتها ،من هنا جاءت دعوته لعروج ليخلصهم من الحامية الإسبانية في قلعة البنيون لقد لبى عروج الدعوة،لأنه

---

[50] سالم التومي زعيم قبائل الثعالبة وحاكم الجزائر،و الذي اغتاله فيما بعد القائد العثماني البيلرباي عروج عن طريق مكيدة مدبرة رغم أن الشيخ سالم كان من بين أعيان القطر الجزائري الذين وجهوا نداء النجدة للباب العالي لمساعدتهم في صد الاعتداءات الإسبانية

ينظر :https://tribusalgeriennes.wordpress.com/2014/10/24

[51] محمد دراج: المرجع السابق،ص ،ص 203.

[52] نفسه،ص 204.

وجدها فرصـــة لا تعوض للســـيطرة على مدينـة الجزائر الأهم بكثير من جيجل الصغيرة،سواء من حيث عدد سكانها أو من حيث أنها كانت مدينة قرصنة أو من حيث موقعها الذي يتوسط سواحل المغرب[53].

أعد عروج 16 ســفينة بمدافعها وذخيرتها،وأرســلها مع نصــف جنوده بحرا.وأما المتبقي والبالغ عدده 800 فقد توجهوا برا إلى مدينة الجزائر.وفي الطريق انضـــم إليه 5000 من رجال القبائل.فدخل عروج المدينة،حيث اســـتقبله الأمراء والأعيان والعلماء والأهالي على مشارف المدينة مرحبين به ترحيبا حارا.[54]

اتجه عروج إلى شـرشـال التي كانت تخضـع إلى قارة حسـن الذي كان يتعاون مع بعض المهاجرين الأندلسيين فقضى عليه،وسيطر على المدينة ثم عاد إلى مدينة الجزائر وبايعه السكان أميرا للجهاد في سبيل الله[55].

وبعد دخول عروج مدينة الجزائر ســـارع إلى نصـــب مدافعه مقابل حصـــن البنيون،وشرع في قصفه لمدة 20 يوما،فكان هذا الفشل غير المتوقع سببا في الشعور بخيبة الأمل لدى بعض الأهالي الذين توقعوا تدمير الحصـــن والتخلص من الأســـبان بسهولة.وزاد الأمر سوءا سلوك بعض الجنود الأتراك الذين بدأوا يعاملون الأهالي معاملة فظة لم يكونوا يتوقعونها ،مما أثار موجة عامة من التذمر والسخط.

اسـتغل سـالم التومي ومن ولاه من الأعيان السـاخطين،فشـرعوا في إثارة العامة على الأتراك.وكاد الأمر يصـل إلى ثورة مضـادة تجمع قبيلة الثعالبة بزاعمة شـيخها سـالم التومي،وسـكان مدينة الجزائر من جهة،والأسـبان المتحصـنين في قلعة البنيون من جهة

---

[53] صالح عباد: المرجع السابق،ص46.

[54] محمد دراج: المرجع السابق،ص 207.

[55] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص 13.

ثانية.اتخذ عروج موقفا حاسما من حركة التمرد،إذ سرعان ما أمر باغتيال الشيخ سالم التومي،وإعدامه بعد استفتاء علماء الجزائر في حكم الشرع في ذلك[56].

اعتبر الأسبان استقرار عروج وأخويه بمدينة الجزائر خطرا شديدا عليهم وعلى مستقبلهم لا في هذه المدينة فقط وإنما في مل الشمال الإفريقي،ولذلك عزموا على مقاومتهم وتحطيم سلطتهم وطردهم وتحالفوا مع أمير تنس الخاضع لهم واستمالوا غليهم أشياع سالم التومي وبعض زعماء القبائل المجاورة للمدينة بواسطة عملائهم وجواسيسهم،ثم وجهوا من وهران حملة كبيرة بقيادة حاكمها الأسباني "ديقو دوفيرا" وصلت إلى الجزائر أواخر شهر سبتمبر 1516م ونزلت قرب باب الواد وتركهم عروج حتى نزلوا إلى البر ثم أخذ يناوشهم لاستنزاف قوتهم وطاقتهم وأغتنم فرصة تقهقرهم وظهور ريح شمالية فزحف بقواته عليهم وأغرق الكثير منهم وقتل البعض وأسر البعض الآخر.وكانت هزيمة الذين لم يخفوا ابتهاجهم وفرحتهم في المدينة وأحوزها مما دفع سكان البليدة ومليانة والمدية ودلس ،وبلاد القبائل إلى مبايعة عروج وإعلان الخضوع والطاعة له فامتد نفوذه وتوسع نتيجة لذلك[57].

6- تحرير قلعة تنس 1518م:

في إطار الصراع على العرش الزياني،ثار الأمير الثابتي على عمه أبي حمو الثالث الذي اغتصب العرش من ابن أخيه أبي زيان الثالث الملقب بالمسعود وسجنه. وأيد الأسبان الامير الثابتي في صراعه مع عمه،وأرسلوا إليه سفينة حربية مشحونة بالجنود ،وقصدوا تنس حيث تمكنوا من الاستيلاء عليها بدعوى حماية أميرها.فبعث

[56] محمد دراج: المرجع السابق،ص 211.

[57] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص 13-14

أهاليها الى عروج يســـتدعونه لتخليص مدينتهم من الأســـبان ومن عميلهم الذي اعتبره خائنا لهم بخضوعه للأسبان.

فمـا كـان من عروج إلا أن بعـث إليهم أخـاه خير الـدين على رأس حملـة عسـكرية.وعندما صـل خير الدين إلى سـواحل تنس لجأ الأسـبان إلى القلعة متحصـنين بهـا.إلا أن الثـابتي لم يلبـث أن لاذ بـالفرار تحـت جنح الظلام بمن معـه من الجنود الأسبان[58].

7- تلمسان تستنجد واستشهاد عروج(1518م)

كانت تلمســـان مســـرحا للتنافس على الحكم بين أفراد البيت الحاكم الزياني.إذ تنازعه أبو حمو الثالث،وأبن أخيه أبو زيان المســـعود.فاتجه الأول إلى الأســـبان مســـتنجدا بهم ليســـاعدوه في الوصـــول إلى الحكم؛بينما التجأ أبو زيان إلى عروج طالبا نجدته وإنقاذ البلاد من التدخل الأسباني.

وقد أدى اعتراف الملك الزياني أبي حمو الثالث باحتلال الأســـبان إلى وهران ســـنة 1512م إلى ظهوره بمظهر الخائن أمام شـــعبه.فأدى ذلك إلى انفضـــاضـــا الناس عنه، وراحوا يبحثون عن قيادة جديدة. وهكذا فما كادت الحملة الأسـبانية الثانية لإعادة احتلال مدينة الجزائر تبوء بالفشل،حتى أرسل أهالي تلمسان إلى عروج يدعونه لتخليص مدينتهم من الوصاية الأسبانية المفروضة عنهم[59].

بعث عروج إلى الجزائر يطلب المدافع ،فأرســـلها أخوه خير الدين عبر البحر.ســـار عروج من تنس ليبلغ قلعة بني راشـــد،التي اســـتقبله ســـكانها بحفاوة بالغة.كانت القلعة

---

[58] محمد دراج: المرجع السابق،ص ص 217-218.

[59] نفسه،ص 218

تضـمن الاتصـالات بين تلمسـان ومدينة الجزائر.ترك عروج فيها مائتي جندي مسـلحين بالبنادق،يقودهم أخوه إسـحاق.سـار قاصـدا تلمسـان إلى أن صـادف أبو حمو في جيش كبير،حوالي تسعة ألاف جندي،فهزمه فلما بلغ تلمسان حظي بحفاوة الاستقبال من طرف سـكانها، في حين التحق أبو حمو بوهران ليطلب دعم الأسـبان. نصـب عروج أبا زيان الثالث المسـعود على عرش تلمسـان،ثم خرج يتنقل في نواحي المنطقة الغربية.تعفن الوضـع السـياسـي في عاصـمة بني زيان في غيابه،إذ عاد إليها ما كان من فتن ودسائس[60].

تخلص الملك الجديد من التبعية للأتراك،بينما كان أشـياع أبي حمو يطالبونه بالتنحي عن العرش،عاد عروج إلى المدينة،فأمر بقتل أبي زيان وأنصـاره.هنا في الوقت الذي حصـل فيه أبو حمو على الدعم المادي والبشـري الأسـباني واسـتعد للسـير إلى تلمسان[61].

وهكذا تعاون الأسـبان وأبو حمو مع بعض الموالين لهما بالبلاد وشـنوا حملة على قلعة بني راشـد واحتلوها وطردوا منها صـاحبها إسـحاق بن يعقوب ثم قتلوه في الطريق أواخر جانفي 1518م،ووالوا السير إلى تلمسـان وفرضـوا عليها حصـارا شـديدا وأضـطر عروج أن يعتصم بالمشور[62] عدة أيام.ثم غادرها ليلا في اتجاه بني يزناسن قرب ساحل

---

[60] صالح عباد: المرجع السابق،ص ص 47-48.

[61] نفسه،ص 48

[62] **المشـور** هو مصـطلح تاريخي، يُسـتعمل في المغرب الأقصـى لوصـف الموقع الجامع للقصـر الملكي(- دار وقصـر العدالة، قصـر الضـيافة، حدائق السـلطان والحي السـكني للوزراء والأعيان. وفي الجزائر بتلمسـان هو القلعة القديمة التي بناها يغمراسن وتحولت فيما بعد إلى إقامة رسمية لبني عبد الواد ملوك تلمسـان. ويتحدث محمد التنسـي عن بنايات عجيبة وأجنحة عالية جدا وحدائق غناء. كما يشير الإدريسي خلال القرن 16 إلى الهندسة الرائعة للبنايات ينظر:https://ar.wikipedia.org وكلمة مشور مشتقة من الشورى فمعناها المكان الذي يتشاور فيه السلطان مع

البحر،ولكن الأســبان تفطنوا لخروجه وتتبعوه واغتالوه بين المالح(ريو صــالادو) وزاوية سيدي موسى في سنة 1518م وحزوا رأسه وأرسلوه الى اسبانيا حيث طيف به في معظم مدنها ومدن اوربا الأخرى كما أرسلوا جلبابه الذي كان يلبسه إلى كنيسة القديس "جيروم" حيث اتخذوه شارة لهم[63].

ثانيا: ظروف الحاق الدول المغاربية بالدولة العثمانية

كانت الدولة العثمانية قد غدت في أوائل القرن الســادس عشــر أعظم قوة في المشــرق الأدنى وفي الحوض الشــرقي للبحر المتوســط،وكانت تمثل القوة الإســلامية الفتية،خاصة بعد أن نجحت في الاستيلاء على أملاك الدولة المملوكية في الشام ومصر والحجاز واليمن،والى ذلك الوقت لم تلعب البحرية العثمانية دورا بارزا في حروبهم فقد كانت الجيوش البرية هي صاحبة الفضل في مجدهم الحربي. وقد تعرضت البلاد العربية في شمال إفريقيا للخطر والأطماع الاستعمارية البرتغالية والإسبانية،فكان الأمر يستلزم دولة فتية تظاهرها قوة بحرية لمواجهة هذا الخطر المحدق ببلاد الإســلام في الشــمال الإفريقي[64]

ولئن كانت الغنيمة وراء تحول "عروج" من الحوض الشــرقي إلى الحوض الغربي للمتوسط،فإن استجاب أيضا بدون تردد لنداءات مورسكي الأندلس الفارين من محاكم التفتيش ومن القمع المســيحي،فأصــبح مثالا للبطل الإيجابي وتســارعت مدن المغرب للاستنجاد به لتخليصها من السيطرة المسيحية. لقد وجد "عروج" في ميناء حلق الوادي

وزرائه ينظر :الحاج محمد بن رمضــان شــاوش:باقة الســوســان في التعريف بحاضــرة تلمســان عاصــمة دولة بني زيان،ج1،ديوان المطبوعات الجامعية،2011،الجزائر،ص65.

[63] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص 15.

[64] عطا الله الجمل: المرجع السابق،ص95.

أحسن قاعدة لتحركاته الجهادية فركز فيها قوته بموافقة السلطان الحفصي الذي كان يحظى بخمس الغنيمة،فأصبحت حلق الوادي ملجأ لمراكبه ومشتى لرجاله[65].

أ- الجزائر في ظل الحكم العثماني:

كان لظهور الأتراك بالجزائر دور فعال في إنقاذ هذا البلد من الاحتلال الإسباني واقع لا محالة لذا استنجدوا بالأخوين عروج وخير الدين.وما من شك فإن رابطة الدين هي التي كانت الدافع الرئيسي لمثل هذا الرضا أو القبول،خاصة وأن الصراع- آنذاك- كان على أشده بين المسلمين والصليبيين،فقد بذل الأتراك العثمانيون جهودا تحفظ لهم في التاريخ من أجل حماية الجزائر من التحديات الاستعمارية طوال ثلاثة قرون[66].

وقد ألح عقال مدينة الجزائر وكبراؤها على خير الدين أن يبقى في مدينة الجزائر بعد الأحداث الخطيرة التي شهدتها الجزائر كان أبرزها التمردات ضد الأخوين "بربروسا".وعندئذ عرض عليهم فكرة ربط الجزائر بالدولة العثمانية وإدخالها ضمن أملاكها حتى تكسب نوعا من الحماية الدولية ويجد هو الحكمة وسيطرته على البلاد.وقد استحسن كبار المدينة الرأي فأرسل خير الدين وفدا إلى السلطان سليم الأول عام 1518م،الذي كان موجودا بمصر،عرض عليه الفكرة وقبلها وأرسل إلى خير الدين التعيين كأول حاكم تركي على الجزائر بلقب(بيلرباي) مع مجموعة من الجنود الإنكشاريين بلغ عددهم 2000 وعدد من المدافع والذخائر الحربية وأذن لخير الدين بتجنيد عدد من المتطوعين ليساعدوه في حفظ الأمن والنظام[67].

---

[65] دلندة الأرقش وآخرون:المرجع السابق،ص38.

[66] صالح فركوس:تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال،دار العلوم للنشر والتوزيع،الجزائر،2005،ص104.

[67] يحي بوعزيز:الموجز في تاريخ الجزائرج2،ط2،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2009،ص16.

وهكذا إذا وبدون تخطيط رسمي مسبق،اتسعت أرجاء الإمبراطورية العثمانية إلى غربي المتوسط لتزاحم الإمبراطورية الإسبانية في بحرها وتنتزع منها السواحل الغربية.فرفعت راية السلطنة على مشارف المدينة،ونودي على منابر مساجدها باسم السلطان،وتحولت بذلك الجزائر إلى ولاية عثمانية وعين خير الدين (بيلربايا) عليها منذ 1518م[68].

وإتصف نظام الحكم الذي عرفته الجزائر أثناء العهد العثماني بتعاقب عدة أنظمة سياسية عبر فترات تاريخية محددة أولها فترة حكم "الباي لارباي" (1518-1588م)،التي ابتدأت باستقرار الحكم التركي بفضل جهود الأخوين "عروج وخير الدين بربروسة" وانتهت بتنحية "علج علي" من مقاليد السلطة،وثانيها فترة حكم الباشاوات(1588-1659م)،الذين مددت حكم كل واحد منهم بثلاث سنوات،وثالثها فترة حكم الأغوات القصيرة(1659-1671م) والتي عرفت فيها الجزائر إظطرابا في نظام الحكم وفوضى في شؤون الإدارة، وحددت خلالها فترت حكم كل أغا بشهرين. أما المرحلة الرابعة والأخيرة،فهي فترة حكم الدايات الطويلة التي استمرت بدون انقطاع من (1671-1830م) وعرفت فيها الجزائر مقومات السياسة وتمتعت بالاستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية[69].

ب- تونس في ظل الحكم العثماني:

---

[68] دلندة الأرقش وآخرون:المرجع السابق،ص 39.

[69] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي:الجزائر في التاريخ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، ب ت،ص14.

وصل الضعف والاضطراب بالأسرة الحفصية في منتصف القرن السادس عشر إلى الارتماء في أحضـــان الإســـبان،وتوقيع معاهدة معهم تعطي الإســـبان امتيازات ضـخمة،وتبيح لهم سـكنى جميع أنحاء القطر التونسـي بل وتنازلت لهم عن مدن بنزرت وحلق الوادي،وأدى هذا لثورة وطنية انتهت بتولية السلطان الحفصـي "أبي العباس الثاني" الذي حكم تونس (1535-1572م)، لن الأمور في تونس لم تسـتقر،فالسـلطان الحفصـي لم يمن من القوة حيث يســـتطيع أن يمســـك بزمام الأمور الداخلية،وأن يقف في وجه الأطماع الإسبانية[70].

وحين اشـــتد الخلاف بين الأمير الحفصـــي "أبي العباس" ووزيره "أبي الطيب الخضـــار"- اتصـــل هذا الأخير "بالعلج علي" والي الجزائر وحرضـــه على احتلال تونس،فانتهز العلج هذه الفرصـــة وخرج على رأس جيشـــه حيث التقى بجيش الأمير الحفصـي عند سـهل باجة وبعد قتال مرير إنخذل أبو العباس وتقدم "العلج علي" صـوب المدينة المحاصـــرة واســـتولى عليها 1569م ونصـــب عليها احد قواده، وأخذ البيعة بها للسـلطان سـليم الثاني العثماني أما أبو العباس المهزوم فلقد لجاء إلى الأسـبان مسـتنجدا بهم،فأعد الملك فيليب الثاني قوة كبيرة لمواجهة تونس على أن يقتســـم مع أبي العباس حكم البلاد ودخلها لكن أبا العباس لم يقر الأســبان على هذا العرض فلجأ إلى صـــقلية وأقام بها حتى مات سـنة 1572م.غير أن أخاه محمد بن الحسـن قبل شـروط الأسـبان وتمكن بمسـاعدتهم من اسـترجاع تونس وأخذ الأسـبان يعملون مع الأمير الحفصـي على ترميم حصون وأسوار البلاد[71].

---

[70] شوقي عطا الله الجمل:المغرب العربي الكبير،ط1،مكتبة الأنجلو مصرية،1977،ص17.

[71] نفسه،ص ص 107-108.

وفي سـنة 1573م خرجت قوة عثمانية كبيرة من القسـطنطينية على رأسـها "سـنان باشا" الوزير العثماني ،بالإضافة إلى قوة بحرية من نحو 1000 سفينة بقيادة "العلج علي" وكان قد أصـبح قائدا للأسـطول العثماني فعمد إلى تقويتة وتسـليحه بأحدث الأسـلحة في عصـــره،كما خرجت حاميات تركية من طرابلس والجزائر والقيروان.وحاصـــر العثمانيون حلق الوادي برا وبحرا،فأضـــطر الإســـبان والأمير الحفصـــي الموالي لهم إلى الهرب والالتجاء للحصون،فلحق بهم الجيش التركي وتمكن "سنان باشا" من تضيق الخناق على الحاميات الإسبانية حتى سلمت للجيش العثماني وقبض على الأمير الحفصي "محمد بن الحسن" وأرسله إلى القسطنطينية وانطوت بذلك صفحة الحفصيين بتونس[72].

وقد مر الوجود العثماني بعدة مراحل من حيث أشـكال تنظمه وتفاعله مع المجتمع المحلي ونوعية مؤسساته وطبيعتها،وبصفة عامة فإن السلطة العثمانية تطورت عبر عدة أزمات من أشـكال التمثيل المباشـر والتفويض إلى نظام عسـكري فتأسـيس سـلطة وراثية مستقلة تتماشى مع النمط الملكي.

و مثلت سـنة 1574م تاريخ انضـمام البلاد التونسـية إلى الدولة العلية العثمانية فأصـــبحت بذلك ولاية عثمانية يحكمها باشـــا موفدا من مركز الخلافة لمدة ثلاث ســـنوات،ورايتها هي راية الســـلطنة،والخطبة على منابرها تقام باســـم الســـلطان العثماني،وعرفت تونس نظام البايات والدايات واحتدم الصـــراع بين الفئتين من أجل الإنفراد بالســـلطة كما حدث في إيالة الجزائر إلى غاية مجيء الفرنســـي واحتلال البلاد التونسية.

ج- <u>ليبيا في ظل الحكم العثماني:</u>

[72] شوقي عطا الله الجمل:المغرب العربي الكبير،ط1،مكتبة الأنجلو مصرية،2009،ص108.

حكم سـلاطين آل عثمان ليبيا كما حكموا غيرها من ديار العرب لا كحكام أتراك بل كخلفاء مسـلمين. وهذه الرابطة الدينية حملت رعاياهم بقطع النظر عما إذا كانوا عربا أو أتراكا غاية توقيع الحماية مع الفرنسـيين سـنة 1881م على الشـعور بأنهم أهل بيت واحد تحت حكمهم.ويقسم المؤرخون عادة فترة الحكم العثماني في ليبيا إلى قسمين:

1-الفترة الأولى: تمتد من 1551م إلى 1711م.

2-الفترة الثانية: تمتد من 1835 إلى 1911م.

ولم يختلف الحكم العثماني في ليبيا في هذه الفترة عنه في غيرها من الولايات العثمانية، فقد عين العثمانيون واليا لحكم هذه الولاية. وكان القائد البحري "درغوث" أول والي عثماني عليها[73].

وتولى "درغوث" الحكم المباشـر للولاية،في سـنة1556م،وأخذ يتصـرف في شـؤونها بهمة عظيمة لم تقتصر على المدينة ،ولكنها شملت الدواخل والمقاطعات المجاورة لتونس التي كانت تعتبر بلدا معاديا،بسـبب وقوعها تحت الحكم الإسـباني، وفي ديسـمبر1556م زحف "درغوث" على قفصـــة واســـتولى على جربة،وترك على قيادة قلعتها "علج على" وثبت في مشيختها الشيخ "موسى بن جلود"* أخا عثمان بن جلود[74].

---

[73] نفسه، ص130.

* حكمت أسرة جلود جربة حتى القرن 18م،ومنذ بداية القرن السابع عشر توقفت الجزيرة عن التبعية لطرابلس وانقادت إلى نفوذ تونس.

[74] إتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911،تر،وتق،خليفة محمد التليسي،الدار العربية للكتاب،ط2، 1991،ص221.

وامتدت سـلطة "درغوث" فشـملت طرابلس الغرب بأسـرها وبلغت جنوبا منطقة غريان، وشـرقا منطقة مصـراته،وكان حكمه على غربي طرابلس أكثر توسـعا وامتدادا حيث شمل كل الجنوب التونسي من جربة وصفاقس والمنستير وسوسة والقيروان[75].

وقد كان من سمات الحكم العثماني في شمال إفريقيا أنه يقوم على التغير المستمر لولاتها في هذه الايالات ذلك خشية أن ترسخ أقدام الوالي في الولاية فيفكر في الانفصال عن الدولة.ولذا فقد تعاقب على ليبيا عدد كبير من الولاة،وقد ترتب على هذا التغير المسـتمر في الولاة أن زاد نفوذ جنود الإنكشـارية واسـتبدوا بالأمر واضـطر الولاة لاسترضائهم فاعتبروا أنفسهم طبقة ممتازة[76].

وسـاعدت كل هذه العوامل على إضـعاف نفوذ الولاة واضـطراب الأمن في البلاد،فكثرت الفتن والقلاقل الداخلية وزاد تدخل رؤسـاء الجند في أمور الدولة،بالإضـافة إلى نفوذ القراصـنة وممثلي العصـبيات المحلية ذلك في الوقت الذي كانت فيه الدول الأجنبية لازالت تطمع في وضـع أيديها على الموانئ الليبية،أتاحت كل هذه الظروف" لأحمد القرمانلي " لأن يتولى الأمر في ليبيا سنة 1711م ويؤسس أسرة حاكمة بها عرفت بالأسرة "القرمانلية" التي امتد حكمها للبلاد بين 1711م إلى غاية 1835م[77]

وهكذا كانت الظروف الداخلية والخارجية المحيطة بليبيا في هذه الفترة من حكم الأسـرة "القرمانلية" غير مواتية وقد رأت الدولة العثمانية أن الوقت قد حان لإنهاء حكم هذه الأسـرة وإعادة ليبيا إلى سـلطان الدولة المباشـرة،وقد تولى شـؤون لبيبا في الفترة الممتدة مابين 1835م و1911م ثلاثة وثلاثون واليا في وقت كانت فيه لبيبا في أمس

---

[75] نفسه، ص227.

[76] شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق،ص131.

[77] نفسه، ص132.

الحاجة للاســتقرار والهدوء ولكن كثرة تغيير الولاة لم يتح الفرصــة لتنفيذ مشــاريع الدولة وقضـــى معظمهم في محاولة إخماد الثورات التي كانت قد اندلعت في أنحاء ليبيا منذ أواخر عهد القرمانلي[78].

[78] نفسه، ص ص140-141.

المحـــور الثالث

تطور نظم الحكم في بلدان المغرب خلال الفترة العثمانية

1-تطور نظام الحكم في الجزائر

2-تطور نظام الحكم في تونس

3-تطور نظام الحكم في ليبيا

4-تطور نظام الحكم في المغرب الأقصى في فترة السعدين والعلويين

5- تطور نظام الحكم في الجزائر

اتصف نظلم الحكم الذي عرفته البلاد الجزائرية أثناء العهد العثماني بتعاقب عدة أنظمة سياسية عبر فترات تاريخية محددة أولها فترة حكم الباي لرباي" باي البايات" (1518-1588م)،الذي ابتدأ باستقرار الحكم التركي بفضل جهود الأخوين عروج وخير الدين وانتهت المرحلة بتنحية "علج على" من مقاليد السلطة،وثانيها فترة حكم الباشوات[79] 1588-1659م،الذين حددت مدة حكم كل واحد منهم بثلاث سنوات،وثالثها فترة حكم الآغوات[80] القصيرة (1659-1671م) والتي عرفت فيها الجزائر اضطرابا في نظام الحكم وفوضى في شؤون الإدارة،أما المرحلة الرابعة والأخيرة،فهي فترة حكم الدايات الطويلة التي استمرت بدون انقطاع من(1671-1830م) وعرفت فيها الجزائر مقومات السياسة وتمتعت بالاستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية،ودام الوجود التركي في الجزائر قرابة الثلاثة قرون[81].

---

[79] باشا: لقب من أعلى الألقاب التشريفية في الدولة العثمانية مأخوذ من الكلمة الفارسية(باد شاه)بمعنى الملك،أو من كلمة باش بمعنى الرئيس.ينظر:محمد احمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية،ط1،دار الفكر دمشق،1990،ص30.

[80] الآغا: مصطلح من أصل فارسي،ويعني السيد وقد استعمله الأتراك لدلالات كثيرة،منها أنها كانت تطلق على الضباط الأميين ،ومنها أيضا صاحب المنصب الكبير،ينظر:سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،مطبوعات مكتبة الملك فهد،الرياض،2000،ص ص 15-16.

[81] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر ،1984،ص14.

أولا :عصر البايلربايات بالجزائر(1514- 1587م)

يعاصر عهدهم فترة السلاطين الأقوياء وعصر القوة العثمانية،والملاحظ خلال هذه الفترة توطيد الحكم العثماني في الجزائر ووضع أسسه التي سوف يرتكز عليها طوال التواجد التركي في الجزائر وكان هؤلاء البايلربايات[82] بمثابة ملوك مستقلين رغم اعترافهم بسيادة السلطان العثماني،إذ كانوا يمارسون سلطتهم بأنفسهم أو بواسطة خلفائهم لهم يعينونهم في حالة انشغالهم عن ايآلة الجزائر[83].

ويمكن تلخيص عصر البيلربايات من خلال أبرز مميزاته وخصائصه كتالي:

أ-سياسيا:

الحقت الجزائر بالخلافة العثمانية وغدا خير الدين يلقب بالبيلرباي أي باي البايات أو خير الدين بك،وأصبحت الجزائر إحدى ولايات الخلافة مما اكسبها قوة في الداخل والخارج،لأن تلك الفترة التي امتازت فيها بالتفوق إنما تمثل عهد الأتراك الأمجاد وعهد البطولات والانتصارات السياسية المرتبطة بها[84].

واستطاع البيلربايات أن يحققوا الوحدة الإقليمية والسياسية للدولة الجزائرية التي امتد نفوذها وسيطرتها إلى كل جهات الشرق والغرب والجنوب ،والقضاء على كل الإمارات والسلطنات المحلية بتلمسان والإمارات الحفصية في قلعة بني عباس، وقسنطينة، وعنابة، وإمارة جبل كوكو بالقبائل،ويعتبر صالح رايس[85] (1552-1556م) بطل تحقيق هذه

---

[82] البيلربايات:اسم يطلق على رؤساء السناجق- الألوية - التي تنتظم فيها القطاعات العسكرية،ويلفظ كذلك البكربكي أو البكلربك. ينظر:محمد دهمان المرجع السابق،ص 37.

[83] حنيفي هلايلي:أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،ط1،دار الهدى ،الجزائر،2008،ص130.

[84] صالح فركوس:تاريخ الجزائر المراحل الكبرى،دار العلوم للنشر والتوزيع،الجزائر،ص 106.

[85] تقول بعض المصادر التاريخية أن أصل صالح رايس من الإسكندرية، اندمج مع البحارة الأتراك حين قدومهم إلى مصر ثم رافق الأخوين بربروس في رحلاته البحرية فتعلم فنون الحرب والبحرية في سن مبكرة. عُيِّنَ على رأس الأسطول البحري العثماني قبل توليه منصب بايلرباي إفريقيا، فساهم في انقاد بقايا المسلمين في الأندلس من المذابح

الوحدة،لأنه هو الذي اجتهد في مد نفوذ الأتراك إلى الواحات بالجنوب،وقضى على الدولة الزيانية بتلمسان وفرض طاعة السلطة بالجزائر على كل المناطق إذ وصلت التخوم الجزائرية بصفة تقريبية حيث هي الآن[86].

لقد كان معظم ولاة هذا العهد أقوياء ذوي سلطة ونفوذ واسعين أتاح لهم مركزهم الممتاز أن يمدوا سيطرتهم حتى إلى تونس وطرابلس،ويتحكموا في أقدارها ويشاركوا في الصراع الدائر بهما ضد الأسبان أساسا،وضد الثورات الأهلية الداخلية.وهم الذين بحكم لقبهم (بايلرباي) يعينون باشوات تونس وطرابلس عن الدولة العثمانية ويعينون من يخلفهم بالجزائر عندما ينقل أحدهم.ومن أشهر هؤلاء خير الدين وإبنه حسن،وصالح رايس، والعلج على،وحسن فنزيانو[87].

معظم هؤلاء من طائفة الرياس البحريين الذين كان اغلبهم من رفاق خير الدين نفسه،والسلطان العثماني هو الذي يعينهم أو يوافق على من يقترحه الرياس بحكم تبعية الجزائر للدولة العثمانية وكانت صلاتهم بالسلطان العثماني قوية ويتولون في هذه البلاد تنفيذ أوامره وتعليماته بحذافيرها دون معارضة.وكثيرا ما يبقى الواحد منهم في الحكم عدة سنوات نظرا لما لهم من قدوة في الحكم البلاد.كما أن عدد منهم نقل إلى الأستانة[88]ليتولوا منصب قبطان باشا أو وزارة البحرية بسبب كفاءتهم في قيادة الأساطيل البحرية مثل خير الدين وأبنه حسن باشا والعلج علي[89].

الصليبية ثم تولى بدوره منصب حاكم الجزائر في عام 1552 فحرر بجاية سنة 1555م من الأسبان وقضى على التمردات في المغرب الأقصى وفتح فاس في عام 1554م.ينظر :- http://www.algeriagate.info2014-03 post_20.html وناصر الدين سعيدوني:الشرق الجزائري،البصائرللنشر والتوزيع،الجزائر،ص14ومابعدها.

[86] صالح فركوس:المرجع السابق،ص 109.

[87] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص 21.

[88] استانة: يعني الاسم القديم لأسطمبول، ويعني عتبة الباب،والمركز،والتكية الكبيرة.ينظر:سهيل صابان:المرجع السابق،ص 15.

[89] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص 21.

قامت اسبانيا بشن حملة على الجزائر بقيادة قودومونكاد في شهر أوت سنة 1519م،ولكنها منيت بهزيمة نكراء،في الوقت الذي تمرد فيه أحمد ابن القاضي وقطع خط الرجعة على خير الدين الى الجزائر وهو في جهاده ضد الأسبان،حيث استقر بجيجل مدة ست سنوات(1521-1527م)،يحارب الأسبان إلى أن استطاع أن يفتح من جديد الجزائر سنة 1527م ويقضي على الحصن الأسباني ببرج الفنار في 16 ماي سنة 1529م واسر الأسبان الموجودين فيه وكان عددهم سبعائة جندي ووصلوا البرج بالساحل و انشأوا رصيفا لحماية الميناء فأصبح ميناء الجزائر في غاية الروعة وأقاموا قرب البرج ثكنة عسكرية واعتبارا من ذلك التاريخ تأسس " أوجاق "الجزائر واستمر الأمر حتى سنة 1830م[90].

ظن الأسبان أن رحيل خير الدين سيسهل عليهم احتلال الجزائر وطرد خلفائه منها فركزوا جهدهم على موانئ تونس واحتلوا الكثير منها،وشارك في الصراع ضدهم خير الدين نفسه. ثم رأوا أن يضربوا الجزائر نفسها،فأعدوا حملة كبيرة استغرق إعدادها وتجهيزها عدة أشهر،وقادها ملكهم نفسه،ونزل بجهة حسين داي في عاصمة الجزائر يوم 23 أكتوبر 1541موكان مصيرها الفشل الذر يع مثل باقي الحملات السابقة واستغل البايلرباي حسن آغا ظروف هذا النصر الكبير ليوسع نفوذه ويمد سيطرته إلى الجنوب حتى بسكرة والزيبان.وبعد فشل الأسبان أمام مدينة الجزائر،حولوا جهودهم إلى الناحية الغربية إلى إمارة بني زيان الضعيفة،والمنهارة والمتداعية بتلمسان.واخذوا يتدخلون في شؤونها الداخلية.وحاولوا أن ينجدوا الأمير الزياني عبد الله ضد شقيقه احمد،ولكن حملتهم أبيدت عن آخرها.قرب عين تموشنت سنة 1543م،ومع هذا لم يتعضوا بالهزيمة فأعادوا الكرة على تلمسان في العام الموالي 1544م و اقتحموها،ونهبوا

[90] صالح فركوس:المرجع السابق،ص 110.

خزائنها ونصبوا عميلهم ،وحليفهم عبد الله الزياني مدة إلى أن ثار سكان المدينة ضده وطردوه ليعيدوا أخاه احمد[91].

وكما اشتد تدخل الأسبان في شؤون تلمسان اشتد طمع المرينيين فيها وأخذوا هم الآخرين يتدخلون في شؤونها ويحاولون احتلالها وضمها إلى السلطة المغربية فأرسل السلطان محمد المهدي السعدي حملة من مراكش احتلت تلمسان بعض الوقت ولكن حسن باشا بن خير الدين 1544-1552م قاوم هذه القوات و أوقع بها هزيمة قرب مستغانم أثناء توسعها وطرد القوات التي كانت تتمركز بتلمسان،ونصب على عرشها الحسن الزياني سنة 1552م[92].

في سنة 1555م تمكنت القوات الجزائرية من بقيادة صالح رايس من تحرير مدينة بجاية،حيث استطاع أن يقتحم المدينة ويحررها من الأسبان ويدخلها الجزائريون مهللين مكبرين،فأزالوا ما كان عليها من صلبان ،وكذلك القرى الساحلية الأخرى منها مدينة القل،لكن ضلت مدينة وهران تحت الاحتلال الأسباني ،وبعد إنهاء الاستعدادات العسكرية لتحقيق هذا الحلم وبينما كان صالح رايس يتأهب للإقلاع على رأس العمارة البحرية،أصيب بالطاعون فالتحقت روحه ببارئها خلال شهر جوان سنة 1556م[93].

وحمل الراية بعده القائد يحي مؤقتا وجاء أمر السلطان العثماني برفع الرئيس الشهير حسان قورصو إلى منصب بايلرباي، ووصل جيش البحر والبر إلى وهران وحوصرت حصارا شديدا،ولكن لم يتم فتحها بالرغم من احتلال الجزائريين لحصن "صانطوس" من حصون وهران وكادوا يتمكنون من ناصيتها،رغم الدفاع الأسباني العنيف،اضطروا لرفع الحصار فسار الأسطول الإسلامي حيث يدعوه واجب الجهاد دفاعا عن دار الخلافة،ورجع حسان قورصو بالجيش البري نحو الجزائر[94].

---

[91] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص ص 18-19.

[92] نفسه،ص 19.

[93] صالح فركوس:المرجع السابق،ص 112.

[94] نفسه،ص113.

نظرا لأهمية موقع الجزائر الإستراتيجي وقوة السلطة الجديدة فقد دخلت كطرف في الصراع الدولي الذي دار على أشده في هذه المنطقة واحتد بين الإمبراطورية العثمانية والأسبان،وفرنسا.وكان من ابرز ميزات هذا الصراع توثق العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا،والجزائر،بالتبعية واشتراكها في محاربة الأسبان ومقاومة مشاريعهم العدوانية في حوض البحر المتوسط الغربي بسبب عداء الأتراك والجزائريين التقليدي للأسبان وتنافس فرنسا التقليدي لهم حول مشاكل القارة ووراثة العروش زيادة على تكرارا اعتداءات "شارلكان" على الشواطئ الفرنسية[95].

وبناء على هذا التقارب والعلاقات الوثيقة بين الأتراك والجزائريين والفرنسيين استنجدت فرنسا بأسطول الجزائر مرة لقمع ثورة داخلية بمرسيليا ،ومرة أخرى لرد هجومات الأسبان على الجنوب الفرنسي،وقاد خير الدين الأسطول الجزائري إلى الشواطئ الفرنسية سنة 1543م لقيادة العمليات الحربية ضد شارلكان الأسباني،وتعود العلاقات الطيبة بين فرنسا والدولة العثمانية إلى أيام السلطان سليمان القانوني وفرنسوا الأول حيث حصلت فرنسا من السلطان على امتيازات واسعة في أملاك الدولة العثمانية سنة1535م[96].

وأصبح للجزائر في هذه الفترة من حكم البيلرايات أسطول بحري قوي وكبير تطور بمرور الزمن وكان من ضمن دوافع إنشائه مقاومة القرصنة الأوربية وخاصة الأسبانية.واستطاعت الجزائر بهذه القوة البحرية أن تفرض إرادتها على الدول الأوربية وترغمها على دفع إتاوات مقابل ضمان الأمن والسلام لمراكبها في حوض البحر المتوسط كما استطاعت أن تشارك في توجيه الأحداث في المنطقة،كما أن أسطولها

---

[95] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص23.

[96] نفسه،ص ص23-24.

شارك في المعارك الكبرى إلى جانب الدولة العثمانية كما حصل في معركة " ليبانتو" سنة 1571م [97].

على أن هذا الأسطول الذي كان الدافع الأول لإنشائه في البداية هو الجهاد في سبيل الله ومقاومة القرصنة الأوربية،تحول بمرور الوقت عن هذا الهدف النبيل إلى ممارسة القرصنة بعد ان ضعفت روح الحروب الدينية وانطفأت جذوتها لدى الأوربيين وظهرت بدلا منها رغبة في الإثراء عن طريق التجارة والغنم البحري[98].

بدأ النفوذ الفرنسي في هذا العهد يتسرب إلى الجزائر ويتغلغل كنتيجة حتمية للعلاقات الطيبة بين الدولة العثمانية وفرنسا ،فمنذ سنة1561م سمح السلطان العثماني لبعض الفرنسيين من تجار مارسيليا بإنشاء مراكز تجارية على ساحل القالة،عنابة،القل لصيد المرجان وبيع البضائع الفرنسية وشراء السلع الجزائرية(قمح،وشمع،وجلود وزيوت) شريطة أن لا تحصن وتسلح تلك المواقع التجارية من قبل الفرنسيين،وكان ذلك بداية لربط العلاقات بين الجزائر وفرنسا،وطلب الباب العالي من رياس البحر الجزائريين أن لا يتعرضوا للسفن الفرنسية بسوء[99].

---

[97] في يوم 17 جمادى الأولى سنة 979هـ الموافق لـ 17 أكتوبر 1571م، اشتعلت نار حرب بحرية بين الدولة العثمانية والتحالف الصليبي الأوربي، فوقعت هزيمة قاسية للأسطول العثماني فقد خلالها ثلاثين ألف مقاتل ومائتي سفينة وعشرة آلاف أسير .فوقع دوي الهزيمة في أوروبا كلها وعمت الأفراح وأقيمت الصلوات ودقت أجراس الكنائس في كل مكان من أوروبا،ينظر: http://islammemo.cc/zakera/methl-haza-elyawm/2012/04/09/147602.html

[98] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص24.

[99] نفسه.

وكان مفروضا على الفرنسيين أن يلتزموا بهذه العهود والمواثيق ولكنهم سرعان ما خالفوا واخذوا يظهرون نياتهم العدوانية.وهكذا نجد شارل التاسع يقترح على السلطان العثماني إعلان الحماية الفرنسية على الجزائر وتعين ملك فرنسي عليها مقابل دفع جزية سنوية له.كما نجد الفرنسيين يعمدون الى تحصين حصون القالة وتسليحها وتحويلها إلى أوكار للجوسسة،والتخريب على مر الأيام مما جعلها تتسبب دوما في تعكير صفو العلاقات بين الدولتين حتى حملة الاحتلال سنة 1830[100]

ب-إداريا:

لقد قام الأتراك العثمانيون الجزائر إلى أربع مقاطعات إدارية.وكانت كل وحدة منها تعرف بالبايلك.ويفهم من المصادر أن التقسيم الإداري للجزائر على الوجه المذكور،كان على مراحل،وان حسن بن خير الدين،هو الذي استكمل التقسيم،الذي يبدأ مع بداية قيام الحكم العثماني في الجزائر،وفي شكل قيادات،ومدن،ثم بايلك،كما سنرى ومن المعروف أن مدينة جيجل كانت أول جزء أقام عليه عروج وخير الدين نواة حكمهما،قبل أن تصبح مدينة الجزائر القاعدة المركزية لهما.وكانت مدينة الجزائر وضواحيها،تشكل ما عرف بدار السلطان،باعتبارها مقر الحكم،ومركز السلطة.ويعود تاريخ ظهور النواة الأولى لهذا البايلك إلى عام 1561م،وذلك عندما استنجد سالم التومي،حاكم الجزائر،بعروج وخير الدين لتحرير صخرة البنيون،الواقعة في مدخل ميناء الجزائر،من السيطرة الإسبانية[101].

---

[100] نفسه،ص ص24-25.

[101] أرزقي شويتام:المجتمع الجزائري وفاعلياته في العهد العثماني،1519-1830،ط1،،دار الكتاب العربي،2009،الجزائر،ص ص41-42.

ثانيا: عصر الباشوات بالجزائر(1587-1659م)

بعد ان لمست الدولة العثمانية ضعف الإرتباط بينها وبين ولاتها في أواخر عهد البيلربايات،عمدت الى إجراء تعديلات إدارية فيما يتعلق بنظام الولايات الثلاث وهي :الجزائر وتونس وطرابلس،فبعدما كانت هذه المقاطعات يحكمها شخص واحد يلقب بالبيلرباي ويوجد مقر حكمه بالجزائر أصبحت كل واحدة من هذه النيابات يحكمه باشا يعينه السلطان العثماني لمدة ثلاثة أعوام، وأستبدلت لقب البريلرباي بالباشا الذي كان دالى احمد باشا أول من حمله.ولكن من النادر ان يكمل الباشا مدته حيث تعاقب على الجزائر خلال هذا العهد ستة وثلاثون باشا تجدد تعين بعضهم مرتين أو ثلاث مرات[102].

وكان يشارك الباشا في الحكم اليولداش مع ديوانهم العسكري الذي يجتمع أربع مرات في الأسبوع للتداول في الشؤون السياسية الداخلية والخارجية،وما كان على الباشا أثناء الإجتماع إلا الرضوخ لتوجيهات الديوان إن أراد البقاء في الحكم،وبسبب هذه السياسة تعرض الكثير من الباشوات للعزل والسجن على يد اليولداش.وكان يثبت في أول كل قرار رسمي هذه العبارت:" نحن،الباسا وديوان وجق الجزائر المظفر"[103].

لعل السؤال الذي يتبادر الى ذهن الدارس لتاريخ الجزائر خلال هذا العهد،ما هي الأسباب الكامنة وراء قيام الدولة العثماية بتغير هذا النظام رغم نجاعته وهذا ما سنختصره في شكل نقاط موجزة وهي على النحو الآتي:

---

[102] عمار عمورة:المرجع السابق، ص114.

[103] نفسه.

– يعود هذا التغير الى الصراع الذي كان قائما بين طبقة الرياس وجنود الإنكشارية،منذ نشأة الدولة الجزائرية،فقد قامت هذه الدولة وتأسست على أكتاف رجال طائفة الرياس مثل خير الدين ومن خلفه.فهذا الصراع كان من الأسباب الرئيسية لتغيير هذا النظام[104].

ظلت الإنكشارية طوال فترة حكم البيلربايات تثير تخوفات وشكوك الباب العالي في نية البيلربايات،هذه التخوفات والشكوك،جعلت من رجال الدولة العثمانية يرون ان جمع السلطة في الولايات الثلاثة:الجزائر وتونس وطرابلس تحت حكم رجل واحد قد يشكل خطرا على الدولة العثمانية،لذا تقرر تقسيم الحكم بفصل هذه الولاية عن بعضها البعض وإسناد ادراة كل ولاية الى باشا يعين لمدة ثلاث سنوات لإحكام الدولة العثمانية سيطرتها على البلاد ومنع حدوث التمرد ضدها،غير ان ديوان الأوجاق بدأ يتقوى ويوسع من نفوذه وسيطرته خلال هذا العهد وعمل بالتدرج على التخلص من الهيمنة العثمانية وتلاقت جهوده مع جهود الباشوات لتجسيد هذا الإتجاه وإبرازه[105].

كان نفوذ البيلربايات واسعاف أمتدت سلطتهم الى تونس وطرابلس لأنهم كانوا أصحاب فضل في فتح هذين البلدين وإلحاقها بالدولة العثمانية بالإضافة الى مدة الحكم التى كانت غير محدودة،حيث بلغت فترة حكم الواحد منهم عدة سنوات في منصبه،لدرجة ان الدولة العثمانية بدأت تشتم رائحة التمرد ومحاولة الإنفصال عنها والإستقلال بهذه البلاد،خاصة وأن الشقة كانت بعيدة بين الجزائر والقسطنطينية ،من اجل ذلك فكرت في تغيير هذا النظام بنظام الباشوات عله يحقق لها السيطرة الكاملة على البلاد[106].

---

[104] صالح فركوس:الرجع السابق،ص 117

[105] نفسه،ص ص 117-118.

[106] نفسه،ص 118.

يعتبر هذا العهد عهد الموظفين الذين كان السلطان العثماني يرسلهم من تركيا الى الجزائر ودون ان يكون لهم سند محلي سواء في صفوف اليولداش أو طائفة رياس البحر ،ولهذا السبب ازداد تطاول اليولداش على الباشوات والأهالي معا مما سبب في خلق فوضى عمت القطر الجزائري بكامله وأدت الى غندلاع ثورات الكراغلة في مدينة الجزائر في كل من أعوام 1596و1633م،وثورة القبائل التى اندلعت بسبب فرض الباشوات ضريبة سنوية كبيرة على كل بلاد القبائل ،فشجعت ثورتهم المناطق الأحرى في شرقي الجزائر وغربها مما دفع اليولداش الى تجريد الباشوات من كل سلطة سنة 1659م[107].

كان تعين الباشا لمدة ثلاث سنوات قد جعل منه يشعر" انه ليس في حاجة الى ولاء الشعب مادامت مدة ولايته محدودة،فأصبح همه الوحيد هو جمع أكبر قدر ممكن من الاموال طوال فترة حكمه"[108].

وكان الباشوات يقومون بشراء هذا المنصب من الباب العالي،فيلجأون للحصول عليه عن طريق دفع الرشوة أو الهدايا،لأن هذا المنصب كان يدر عليهم أموالا كثيرة" ومادام الحصول على الثروة هو الهدف الأساسي للباشوات فقد أصبحت قضية الحكم مسألة ثانوية لاتهمهم،وغدت السلطة فاقدة لعنصر التآلف والتآخي والمحبة والدفاع عن راية الإسلام،وباءت الإنكشارية للمال والنفوذ والسلطة.أما الفداء والتفاني والتضحية فهي مبادئ ماتت منذ تخلى السلطان عن مسؤوليته، وأصبح حبيس قصره كما هو الشأن للباشا الذي لم يكن ليجرؤ على الخروج حتى الى الديوان إلا بطلب منه وتحت حراسة مشددة[109].

---

[107] عمار عمورة:المرجع السابق، ص114.

[108] صالح فركوس:الرجع السابق،ص 119

[109] نفسه.

لقد عرفت الجزائر خلال هذه المرحلة أكثر من أربعين باشا تجدد تعيين بعضهم أكثر من مرة،وتعرض الكثير منهم الى العزل والسجن على يد الأوجاق وكان عهد معظمهم قصيرا، فقد استمر حكم يوسف باشا سنة 1640 م أربعين وما ثم عزل وسجن سنة 1642م،بسبب تأخره عن دفع رواتب الجند ثم عاد للمرة الثالثة سنة1647م،وبين 1655-1659م،تعاقب على الحكم أكثر من مرة كل من أحمد باشا وابراهيم باشا وكانت هذه الفترة ملئية بالإظطرابات مما دفع الأوجاق الى إنهاء حكم الباشوات[110].

1-أبرز أحداث عصر الباشوات:

أولا: داخليا:

أ- الصراع بين الإنكشارية وطائفة الرياس:

استقدمت الى الجزائر فرق تركية من الإنكشارية البرية منذ تعيين خير الدين بيلرباي عليها ونمت وكبرت هذه الفرق بمرور الزمن وأخذ ضباطها يتطلعون الى الحكم والسيطرة بمختلف الوسائل ومن أجل ذلك عمل كثير من الولاة البيلربايات على التخلص منها وتصفية وجودها إما بإدماجها مع فرق الجنود البحارة تحت سلطة الرياس أو خلق فرق من المشاة الجزائريين،كما حاول ذلك الباشا حسن بن خير الدين، ومحمد بن الصالح رايس،ولكن كل هذه المحاولات لم تنجح لأن ضباط هذه الكتائب الإنكشارية كانوا ذوي جرأة ومغامرة يسبقون الحوادث[111].

وقد حاول الباشا خضر أن يتخلص من هذه الفرق الت أصبحت خطرا يهدد السلطة والدولة من الناحيتين الأخلاقية والسياسية وصار الشعب يعاني الأمرين من ظلمها

---

[110] حنيفي هلايلي: المرجع السابق،ص133.

[111] يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص38.

وجبروتها وسطوتها على الاموال،وهكذا ثار الناس ضدها بالعاصة وإمتد الغضب الى الأحواز فهب الناس من كل جهة للقضاء على هؤلاء الجنود العتاه،ولكن المحاولة باءت بالفشل وإنتهى الامر بعزل الباشا خضر مما دفع الناس الى الإستنجاد بقوة إمارة بني عباس الت حاصرت مدينة الجزائر قرابة نصفشهر حتى تدخل السلطان العثماني في الأمر وعالجه بصورة وقتية الى حين[112].

-ب الصراع ضد قلعة بني عباس:

كانت إمارة القلعة ببني عباس تحكمها أسرة تابعة للحماديين بقلعة بني حماد ببجاية ثم خضعت للحفصيين وصارت تتبع للإمارة الحفصية بقسنطينة.وحملت لواء المقاومة ضد الأتراك منذ أيام خير الدين الذين فشلوا في إخضاعها رغم كل المحاولات التى بذلوها،فقد بذل صالح رايس جهده لإخضاعها واستعمل حتى وسائل الخداع للإيقاع بهم فلم ينجح فأستدعى أميرها عبد العزيز الى الجزائر العاصمة على امل القبض عليه بعدأن أستامنه وعندما تفطن للمكيدة فر ليلا من قصره بحي الجنينة ونظم مقاومة شديدة ضد الاتراك وألحق بقوات محمد بن الصالح رايس هزائم ساحقة وشتت شمل عساكره كما ألحق بسنان رايس والقائد رمضان نفس الهزائم في العام الموالي بوادي اللحم[113].

وجدد حسن باشا بن خير الدين نفس المحاولة ضد إمارة القلعة التى أصبحت تشكل خطرا شديدا على طريق المواصلات بين الجزائر وقسنطينة،فصاهر سلطان جبل كوكو احمد بن القاضي ليضمه الى جانبه ثم حشد قوات كبيرة اتجه بها البالقلعة لمهاجمتها واستولى في طريقه على عدة مدن وقرى،و أسس عدد من القلاع الحصون

---

[112] نفسه.

[113] نفسه،ص ص38- 39.

العسكرية في المسيلة،وبرج بوعريريج،وزمورة، لتكون مراكز دائمة لقوات الأتراك.ولكن حسن بن خير الدين فشل في تحطيم امارة القلعة لأنها اتبعت ضده وضد قواته حرب العصابات وساعدتها طبيعة المنطقة الجبلية المنيعة على ذلك[114].

ورغم مقتل السلطان عبد العزيز في إحدى المعارك إلا ان اخاه أحمد مقران استطاع أن يحرز النصر على الأتراك ويرغمهم على الإنسحاب ويطردهم حتى من إمارة جبل كوكو ويفتك منهم الاعتراف بإمارته وسلطته.ونتيجة لتجدد أخطار امارة القلعة وتهديدها المستمر لطريق المواصلات بين الشرق والغرب أمر الباشا مصطفى بتأسيس مدينة صور الغزلان لتكون مركزا ومحطة لتامين الطريق بين الجزائر وقسنطينة ولمقاومة قوات إمارة القلعة الت أصبحت تهدد فرق المحلة المكلفة باستخلاص الضرائب.وحاول الباشا سليمان فنزيانو أن يضع حدا لقوات القلعة فجهز حملة عسكرية ضد أحمد امقران ولكنه هزم في العام الموالي أبنه ناصر في قرية جمعه الصهريج.على ان هذه الأمارة سرعان ما خضعت بسبب تشديد الأتراك عليها[115].

ج- ثورة الكراغلة:

كان من أهم قرارات الديوان ضد نفوذ الباشوات وإخضاع خزينة الدولة لإرادته وإرغام الباشوات على دفع مرتبات الجنود،وجاء هذا الحدث ليشعل نيران ثورة عارمة سنة 1633م تتزعمها عناصر الكراغلة الذين هاجموا مدينة الجزائر وحاصروا القوات التركية بالقصبة بسبب عجز الولاة عن دفع المرتبات للجنود وحصلت بالمدينة مجزرة رهيبة بسبب إنفجار مخزن للبارود وانتهى الأمر بسيطرة الرايس علي بتشيني وهو

[114] نفسه،ص 39.

[115] نفسه.

صاحب سمعة وشهرة واسعة في الجزائر وفي البلدان الاوربية بفضل الإنتصارات الباهرة التى أحرزها الأسطول الجزائري في البحر الأبيض المتوسط وبحر الشمال[116].

وقد كان ذا ميول استقلالية وصاهر سلطان كوكو لتقوية مركز نفوذه،ولم تمضي بضعة سنوات على ثورة الكراغلة بالعاصمة حتى شبت ثورة أخرى عامة امتد لهيبها الى الاعماق الصحراوية والى منطقة القبائل الكبرى وتعرض الحكم التركي لهزات عنيفة في أكثر من ميدان نتج عنها اضطراب كبير في سير الإدارة بالجزائر[117].

د- ثورة القبائل:

منذ البداية لم تكن الحكومة التركية في شؤون منطقة القبائل، وأكتفت منها بدفع ما عليها من ضرائب كما ان القبائل من جهتها كانت ترفض الخضوع لغير زعامتها المحلية،وهي تميل الى الاستقلالية، ومن أشهر القبائل البارزة في الجزائر:بنو العباس وقبيلة آل القاضي.إن حدوث ثورة القبائل خلال عهد الباشوات ،إنما كان بسبب محاولة الباشوات جمع المزيد من المال وبسرعة. وقد اعتقد هؤلاء الباشوات أن زيادة الضرائب على المناطق القبلية سيحقق لهم ثراء مذهل وان القبائل لا تثور في الوقت الذي تحالفت فيه القبائل مع طبقة الكراغلة[118].

---

[116] صالح فركوس:الرجع السابق،ص 123

[117] نفسه.

[118] نفسه،ص ص 123-124

كان على بتشيني قد تزوج من ابنة سلطان كوكو كما كان الأسبان يشجعون القبائل عل التمرد آملين الاستيلاء على بعض المناطق فعمت الثورة مختلف مناطق الجزائر ضد الاتراك،فاضطرب الأمن وخاف التجار من التحرك وامتنع الجباة عن القيام بمهمة الجباية فتناقصت موارد الخزينة ولم يعد بمقدور الباشا دفع مرتبات الجند[119].

ثانيا: خارجيا:

أ- الصراع مع تونس:

ازداد الخلاف بين الجزائر وتونس بسبب الأحداث التى تجري في شرق الجزائر،فقد قام الباشا حسين الشيخ بإبرام معاهدة مع باي تونس لتحديد مناطق الحدود ولكن الباشوات الذين جاؤوا بعده شعروا بأن بايات تونس هم الذين يشجعون على قيام الاضطرابات في شرق الجزائر فقام الباشا خضر بإعلان الحرب على تونس واستمرت مدة من الزمن وحصلت بينهما عدة وقائع حربية في منطقة الحدود الى ان تم في عهد الباشا حسين الشيخ في ولايته الثانية ابرام معهادة صلح بين البلدين خططت فيها الحدود بينهما،في نفس العام الذي ابرمت فيه معاهدة صلح مع الفرنسيين سنة 1628م[120].

---

[119] نفسه.

[120] يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص37.

ب- **توتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا:**

عمل باشوات الجزائر على وضع حد لامتيازات التجار الفرنسيين،حيث قام الباشا خضر بتحطيم المركز الفرنسي بالقالة وأسر رواده،وأخذ الفرنسيون يعتدون على السفن الجزائرية فرد الرياس الجزائريون بالمثل على السفن الفرنسية وأسر القنصل الفرنسي بالجزائر ،وتعقدت العلاقات الديبلوماسة الفرنسية مع الجزائر والخلافة العثمانية،فأظطرت فرنسا الى التفاوض وابرام معاهدة بتاريخ :19-09-1628م نصت على ما يلي [121]:

- إطلاق سراح الأسرى من الجانبين.
- التوقف عن الأسر من الجانبين.
- مسالمة البواخر الفرنسية في البحر.
- تعيين قنصل فرنسي بالجزائر يتمتع بالحصانة.
- إعادة بناء مركز القالة الفرنسي التجاري.

وكان من المفروض أن تسير الأمور على ما يرام بعد ابرام هذه المعاهدة ولكن حوادث العنف سرعان ما تجددت بسبب عدم احترام الفرنسيين لنصوص المعاهدة والقيام بالإعتداء المتكرر على السفن الجزائرية وشواطئها وقتل الكثير من الجزائريين في مناسبات مختلفة تحت سمع وبصر الرسميين الفرنسيين مما جعل الجزائريين يردون العنف بمثله ويتبعون المراكب الفرنسية ويأسرونها بما فيها[122].

ثالثا: عصر الأغوات بالجزائر(1659-1671م)

تمثل هذه الفترة القصيرة تسلط الجيش البري على الحكم وغياب السيادة العثمانية الفعلية،بحيث أصبح الديوان الذي يتألف من كبار ضباط الإنكشارية هو الذي يقوم

[121] صالح فركوس:الرجع السابق،ص 121.

[122] يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص37.

بانتخاب الآغا المنتدب للحكم بعدما أن كان الحاكم من قبل يعين من قبل السلطان العثماني خلال مرحلة البيلربايات والباشوات.ويتميز هذا النظام بإعطاء السلطة التنفيذية لأحد أعضاء اليولداش بحسب الأقدمية يلقب باسم اللآغا على شرط أن لا يتجاوز مدة حكمه شهرين فقط وأن يتم تعينه عن طريق الانتخابات، أما السلطة التشريعية فيتولاها الديوان العسكري.ويعود السبب في حكم الأغوات إلى سياسة الباشوات المالية،فقد اتهم اليولداش إبراهيم باشا بأخذ العشر من المنح التي كان يرسلها السلطان العثماني لفائدة الأسطول الجزائري[123].

لذا تمردوا عليه وجردوه تدريجيا من كل صلاحياته بدءا بدفع رواتب الجند وتعيين القواد والقضاة ولم يتركوا له سوى اللقب الشرفي،وكلفوا خليل آغا وهو قائد الجند بمهمة جمع الضرائب ودفع رواتب الجند،اما السلطة الفعلية يتولاها الديوان العسكري،فما كان على السلطان العثماني إلا القبول بأمر الواقع،فنالت الجزائر بذلك استقلالها من تبعية وارتباط بالدولة العثمانية[124].

لقد كانت مهمة الآغا كمحاولة – في الحقيقة– للانفصال عن الخلافة العثمانية والاستقلال بالجزائر من الناحية الشكلية كما كان قيام هذا النظام انتقاما من طائفة الرياس،علما بأن الإنكشارية لم يكن الأهالي راضين عنها،بل كانوا ساخطين عليها سخطا شديدا،ضف إلى ذلك الأحقاد التي تجذرت فتنتنها بينهم وبين طبقة الكراغلة[125].

لقد زاد هذا النظام البلاد سوءا من ذي قبل فجرها إلى صراعات داخلية لا حصر لها،ثم إن طائفة الرياس لم تعد لتقدم أي دعم اقتصادي لطبقة الإنكشارية" الحاكمة" لكونها تعتقد أن السلطة سلبت منها بل كانت تشارك في إثارة الاضطرابات ضد الأغوات

---

[123] عمار عمورة: المرجع السابق، ص117.

[124] نفسه.

[125] صالح فركوس: المرجع السابق،ص 127.

محاولة منها لاستعادة السلطة.كما أن تولى الإنكشارية جاء في ظروف دولية صعبة ومعقدة[126].

أ- أهم أحداث هذا العصر:

حاول ديوان الأوجاق أن يحس من علاقاته مع فرنسا ولكنها اعترضت عن ذلك وواصل القراصنة الفرنسيون اعتدائهم على السفن والراكب الجزائرية في البحر،وعلى شواطئ الجزائر نفسها واشتدت حالة الحروب البحرية بين البلدين وعادت بالأضرار على التجارة الفرنسية وعلى الأوضاع الداخلية بالجزائر.فدخل حلبة الصراع ضد الجزائر إلى جانب الفرنسيين كل من قراصنة الانجليز،والأسبان،والهولنديون،وكاد الأمر أن يتحول إلى تحالف أوربي ضد الجزائر لولا أن السلطات الجزائرية كانت حاذقة واتبعت طريقة محالفة البعض ومعاداة البعض الأخر على التوالي تجنبا لقيام جبهة أوربية ضدها.فصالحت الهولنديين سنة 1663م لتتفرغ لمحاربة الفرنسيين،وصالحت الفرنسيين لتحارب الانجليز والهولنديين،وصالحت سنة 1671م الانجليز لتعود إلى الحرب ضد فرنسا[127].

ب- أطماع لويس الرابع عشر في الجزائر:

كان لويس الرابع عشر(1643-1715م) شديد الحقد على الإسلام والمسلمين وفي نفس الوقت كانت لديه أطماع استعمارية[128].كما أن وزيره "كولبير" كان شديد الاهتمام بإحياء التجارة الفرنسية بالمشرق وتأسيس إمبراطورية استعمارية فرنسية فيما وراء البحار ولما كان ذلك لا يتأتى ولا يتحقق مادامت بحرية الجزائر القوية صاحبة السلطة والنفوذ

---

[126] نفسه.

[127] نفسه،ص ص 127-128.

[128] حول دوافع الأطماع والغارات الأوربية على بلدان المغرب العربي ينظر:يحي بوعزيز:مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية،2009 الجزائر،ص 203.

الواسع في البحر المتوسط الغربي،فقد جرى الاهتمام بوضع الخطط لتحطيمها والعمل على احتلال الجزائر نفسها وتم إرسال بعض الجواسيس إليها منذ سنة 1658م لدراسة أوضاعها واختيار المكان المناسب لاحتلالها[129].

فاقترحوا على "كولبير" سنة 1662م احتلال القل وجيجل فحشد قوات كبيرة ووجهها لاحتلال القل فير ربيع سنة 1663 فتعرضت لفشل ذريع هناك كما تعرضت لهزيمة ساحقة أمام مدينة الجزائر عندما اتجهت إليها في نفس العام.وفي جويلية سنة 1664م وجه لويس 14حملة عسكرية أخرى ضد جيجل احتلها قرابة ثلاثة شهور ثم طردها الأهالي بعد أن كبدها خسائر جسيمة. واضطرت فرنسا إلى مفاوضة الجزائر وإمضاء اتفاقية 7 ماي 1666م التي نصت على تطبيق اتفاقية 1628م وإطلاق الأسرى من الجانبين ومسالمة سفن الجانبين في البحار.وبعد إبرام المعاهدة حصل هدوء نسبي بين البلدين لتدخل دولة أخرى في الصراع وهي انجلترا[130]

ج-أطماع الانجليز:

لم يتعظ الانجليز مما لحق بالفرنسيين من خسائر في تجارتها وتجربتها فأخذوا يهاجمون الجزائر سنة 1669 ويعتدون على مراكب الجزائر في عرض البحر وأحدثوا تخريبا في مدينة بجاية سنة 1671م وبالجزائر العاصمة كذلك وأدى إلى ظهور تذمر شعبي في البلاد ضد ضعف حكم الآغوات تحول بسرعة إلى ثورة عارمة انتهت بمقتل علي آغا وإنهاء عهد الآغوات نفسه[131]

---

[129] يحى بوعزيز : الموجز في تاريخ الجزائر،ج2،المرجع السابق،ص ص 43-44.

[130] نفسه،ص44.

[131] نفسه.

ولكن بعد إنشاء شركة المشرق سنة 1681،أصبحت هذه العلاقات تكتسي طابعا رسميا،كما سمحت للانجليز بالدخول إلى البحر المتوسط بشكل اكبر،ووقعت الدولتان العديد من المعاهدات منها:1682م وجددت في السنوات1686و 1691و 1700و 1716 حفاظ على السلم والعلاقات التجارية بين البلدين[132].

د- **نهاية نظام الآغوات:**

عرفت السنوات الأخيرة من حكم على آغا صعوبات كبيرة. ففي سنة 1668 تمرد الأهالي المقيمون في مدينة الجزائر من غير الحضر(البراني). هذا التردد نجهل أسبابه وتفاصيله وخلاله قبض على مسئول الفرق العسكرية الأهلية من الزواوة،فذبح ومزقت أشلاؤه في أماكن مختلفة من المدينة.على أثر هذه العملية تمردت بلاد القبائل كذلك.وهذا ما يوحي بأن تمرد قبائل الزواووة كان ذو طابع سياسي،قد تكون وراؤه جهات أخرى مثل طائفة الرياس أو الباشا ممثل السلطان في الجزائر.في هذه الأثناء كان الهولنديون،الانجليز،المالطيون والسردينيون وكذلك سفن البابا يطاردون الرياس بلا هوادة ويلحقون بهم خسائر فادحة،حتى ان سكان مدينة الجزائر كانوا يخشون إنزالا أجنبيا في مدينتهم.ولتهدئة الأوضاع لجا علي آغا إلى توزيع الهدايا وتحصين رأس ماتيفو(تامنفوست) ومصب وادي الحراش.لكن ذلك لم يمنع الطائفة من التحريض ضد الآغا،بعد الحملة الانجليزية[133].

في سبتمبر 1671م تمردت الإنكشارية على علي آغا.على الرغم من أن رأس التمرد قد قتل،فإن المتمردين قبضوا على علي أغا وقطعوا رأسه،وتم تعذيب زوجته

---

[132] قرباش بلقاسم: معاهدة الصلح والسلام بين بريطانيا العظمى والجزائر 1682م من خلال وثيقة أصلية،في مجلة الدراسات التاريخية،العدد،18،ماي 2015،الجزائر،ص171 ومابعدها

[133] صالح عباد:الرجع السابق،ص132

قصد الوصول إلى المكان الذي كان يحوي أمواله.أعقبت مقتل الآغا فوضى عارمة،هاجم خلالها الإنكشاريون القصبة ونهبوا أموال جرايتهم.في الحقيقة وصل نظام حكم الآغوات إلى أزمة قاتلة.عجز ديوان الإنكشارية في الوصول إلى تعيين آغا يستطيع إعادة الأمور إلى نصابها.لقد عين خمسة أغوات أو ستة خلال ثلاثة أيام فقط في هذه الفوضى تدخلت طائفة الرياس التي لم تكن راضية على سياسة على آغا متهمة إياه باللامبالاة تجاه البحرية التي تتعرض لضربات الدول الأوربية كما أعابة عليه سياسته اتجاه فرنسا[134].

لقد تدخل الرياس وعينوا أحدهم دايا على الجزائر وهو الحاج محمد .وضعوا بذلك نهاية لنظام الآغوات الدموي.حول أسباب تدخل الرياس وعلاقتهم الاجتماعية يقول جون .ب.ولف: لقد كان الرياس مهددين تهديدا خطيرا بهذه الفوضى.فقد كانوا أغنى الناس في الجماعات المتنفذة،وكانوا يملكون الفيلات في ضواحي الجزائر والمنازل بالمدية،وكانوا يملكون الرقيق بالإضافة إلى الثروة من البضائع والدراهم،كما كانوا متعودين على القيادة.وبذلك كانت الفوضى المشار إليها تهدد ثروتهم كما كانت تهددها الأساطيل الأجنبية عندما تتدخل في مهنتهم كقراصنة.وكان الرياس يجدون حلفائهم في صفوف أغنياء الحضر(البلدية) واليهود الذين كانوا من جهة يدبرون تجارة الجزائر ومن جهة أخرى كانوا يملكون الكثير من السفن في أسطول القرصنة.فهؤلاء كانوا أيضا مهتمين باستتباب النظام ولكنهم لم يكونوا يملكون،سواء في ذلك البلدية أو اليهود،أية قاعدة عسكرية أو سياسية يتحركون منها لحسابهم"[135].

---

[134] نفسه

[135] نفسه،ص 133.

عصر الدايات بالجزائر(1671- 1830م)

كان للهجومات المتوالية التي شنها الأوربيون على الجزائر أواخر عهد الآغوات تأثيرا كبيرا على الوضع الداخلي للبلاد. وعلى السلطة نفسها.فقد فقدت البلاد كثيرا من سفنها التجارية،وتأثرت طائفة الرياس بصفة خاصة لأنها هي التي تضررت أكثر من غيرها باعتبار أنها مالكة الأسطول والمراكز البحرية.ومن أجل ذلك تآمر الرياس على أخر الآغوات علي آغا،وقتلوه أوائل سنة 1671م ورفض عدد أخر من قبول هذا المنصب باعتبار انه يؤدي إلى نفس المصير الذي وقع فيه علي آغا.ولقد بدأت الحادثة بسيطة باغتيال علي آغا وإذا بها تتحول إلى انقلاب جذري في أسس السلطة العليا[136].

إذ استعملت طائفة الرياس الحادثة وانتزعت السلطة من المسئول الرئيسي واتفقت مع الديوان الذي تمثل الأغلبية داخله على إلغاء نظام الآغاوية،وتعويضه بنظاما أخر

[136] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص 46.

أكثر استقرارا يتمثل في تعيين داي في منصب الوالي طول حياته على ألا يكون له الحق في تعيين من يخلفه،وإنما يكون ذلك من حق مجلس **الديوان** مما جعل النظام يخالف الملكية الوراثية . ولاشك أن بقاء الداي في منصب الرياسة طوال حياته يساعد على إيجاد نوع من الاستقرار أكثر وشيئا فشيئا استطاع الدايات أن يكونوا لأنفسهم سلطة واسعة ويحدوا من سلطة الديوان الذي أصبح لا يستدعي للاجتماع إلا بصورة شكلية[137].

كان الدايات[138] في بداية عهدهم ينتخبون من طائفة الرياس.وبالرغم من الانقلاب الذي حدث في نظام الحكم،فإن السلطان العثماني استمر في تعيين الباشوات،غير أن وجودهم في الجزائر،كان شرفيا، إذا جردوا من كل الصلاحيات.وكان الدايات الأربعة الأوائل من الرياس،وفي عهدهم تعرضت السواحل الجزائرية إلى عدة حملات أوربية،ألحقت أضرارا بالغة بالأسطول الجزائري،مما أدى إلى ضعف مركز الرياس.وكان هذا الوضع في صالح الإنكشارية الذين تمكنوا من استرجاع نفوذهم ومكانتهم وأصبح الدايات منذ سنة 1689م،ينتخبون منهم لمدى الحياة[139].

وقد كان منصب الداي تتولاه في الغالب إحدى الشخصيات البارزة في الدولة، وهي الوزناجي ،أو الآغا ،أو خوجة الخيل،إلا أن هذه القاعدة لم تكن ثابتة،إذ كان

---

[137] نفسه.

[138] نظام حكم عرفته الجزائر إبان التواجد التركي وهو آخر مراحل حكمهم ،امتد من سنة 1671 الى غاية سنة 1830 أي انتهى باحتلال الفرنسيين لجزائر.

[139] أرزقي شويتام:المرجع السابق،ص ص 38-39

بإمكان الجندي البسيط أن يصل غالى منصب الداي[140].وكانت هذه الحالة تحدث في وقت الاضطرابات والفوضى.وقد تمكن الداي مع مرور الوقت،أن يجمع بين لقب الداي والباشا،وذلك عندما رفض الداي علي في سنة 1711م،أن يستقبل الباشا الجديد الذي عينه السلطان[141].

ورغم قيام الباب العالي بإدماج منصب الباشوية مع منصب الداي، إلا أن الدايات قاوموا حتى وساطة الباب العالي في القضايا الخارجية بإعتبار ذلك تدخلا في الشؤون الجزائرية وسعيا من السلطان لاستعادة نفوذه.فرفض الداي علي كرد،وساطة الدولة العثمانية من أجل إبرام صلح مع اسبانيا سنة 1725م وسنة تسليم الثائر المصري 1726م كما رفض "شركس محمد" لمبعوث السلطان وقاوم في سنة 1729م محاولة السلطان المكشوفة لإعادة سلطته عندما بعث إلى الجزائر باشا جديدا وشخصيات أخرى معونة له فرفض نزولهم إلى البر وأرغمهم على الانسحاب والعودة من حيث أتوا[142].

أحداث هذا العهد:

أ- داخليا

رغم التحسن في الأوضاع السياسية في البداية وبداية الاستقلالية عن الخلافة العثمانية،على أن ذلك لم ينعكس على الأوضاع الداخلية للبلاد،فقد كانت القلاقل والاضطرابات المتواصلة هي الطابع المميز لهذا العهد،ذلك لان التناحر على الحكم

---

[140] يختار لمنصب الداي أحد الأتراك بإجماع الآراء أو بتغلب إحدى الجماعات في فرض مرشحها،وعلى كل فإن تولي هذه المرتبة السامية يتوجب فيها أن يكون متوليها تركيا.ينظر:ج.أو.هابنسترايت :رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1732م، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي ،تونس،دت،ص 40.

[141] نفسه،ص39.

[142] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص ص 47-48.

وظاهرة الاستبداد،جعلت من الشعب يعيش على الهامش يتفرج على الأحداث والاغتيالات،الأمر الذي أدى إلى نشوب الفتن الأهلية والشعور بعدم الأمن والاستقرار[143].

في ظل هذه الظروف العصيبة والجور الذي أبداه الحكام الأتراك ضد الرعية ،حاول سكان العاصمة والقبائل المجاورة سنة 1692م التخلص من الحكم التركي أثناء غياب الداي وقيامه بالهجوم على تونس،وأدت المحاولة إلى إشعال النيران في مرافق الميناء وبعض السفن الراسية به،وقام كراغلى تلمسان بحركة تمرد واسعة في عهد الداي إبراهيم كوجوك،فسيطروا على المدينة وطردوا منها الحامية التركية وحاولوا ربط الاتصالات مع كراغلة عاصمة البلاد من أجل القيام بنفس العمل حتى تكون الحركة شاملة ولكن الداي تفطن للمحاولة منذ البداية فوضع لها حدا وقضى عليها في المهد بالقوة[144].

كما قام سكان فليسة بالقبائل الكبرى بعصيان سنة 1767م دام ما يقرب من سبع سنوات بسبب إرهاقهم بالضرائب.وقبل عصيان "فليسة" تمرد سكان البليدة والحضنة وبعض واحات الجنوب والنماممشة بالأوراس وظهرت حوادث قسنطينة أدت إلى مقتل صالح باي الذي كان شخصية إدارية وسياسية مرموقة في بايلك قسنطينة وصاحب شعبية وذلك سنة1792[145].

---

[143] صالح فركوس:المرجع السابق،ص 133.

[144] نفسه.

[145] نفسه،ص ص 133-134.

وزيادة على هذا يلاحظ قيام رجال الزوايا بالمشاركة في إثارة الاضطرابات والثورات أثناء هذه الفترة.حيث تزعم محمد بللحرش مقدم الطريقة الدرقاوية الثورة في مدينة قسنطينة وسيطر على جيجل والقل زالقالة،وساعده عبد الله الزبوشي مقدم اللطريقة الرحمانية واتفقا على احتلال مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق،واعتصم باللحرش في جبال الشمال القسنطيني،وحاول احتلال بجاية وإثارة سكان الحضنة ليجعل حركته ثورة عارمة،وامتد نشاطها إلى جهات الأصنام[146].

وفي الوقت الذي كان باللحرش يقوم بحركته في الشرق القسنطيني هب الدرقاويون بغرب البلاد لتوسيع نطاق الثورة وتزعم شريف درقاوي آخر التمرد،وكذلك تمرد التجانيون[147] بعين ماضي ضد الحكم التركي وقد وقع صدام عنيف بينهم وبين قادة بايلك الغرب من الأتراك في إحدى المناطق بمنطقة معسكر – اليوم– وهي سهل غريس أدى في الأخير بعد مواجهة دامية بين الطرفين إلى مقتل الشيخ محمد الكبير ابن مؤسس الطريقة التجانية وإتباعه[148].

وممـا زاد مـن مصـاعب الجزائـر الداخليـة فـي هـذه الفتـرة حـدوث زلازل مخربـة بهـا فـي أعـوام 1716و1717و1755،وحصـول أوبئـة فـي أعـوام 1752و1753و1787م،وحصـول قحـط وجفـاف فـي بعـض السـنوات الأخـرى وادى كـل ذلـك إلـى مـوت الآلاف مـن الناس،وانتشـار الفقـر والبـؤس وقلـة المـؤن والمحاصـيل الزراعيـة ونـتج عـن ذلـك انتشـار الغضـب والتـذمر علـى المسـتوى الشعبي[1].

---

[146] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص 50

[147] حول ثورة التجانيون ينظر:ابن عودة المزاري:المصدر السابق،ص354 وما بعدها.

[148] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص 50

ب- السياسة الخارجية:

1-علاقة الجزائر مع بلدان المغرب العربي:

كانت علاقة الجزائر بالأقطار المغاربية متوترة في أكثر الأوقات،فقلما كانت العلاقة ودية أو حسنة أو على الأقل إدراك خطورة التحديات الغربية.لقد كانت الجزائر تعتبر إقليم تونس إقليما تابعا لها وكانت تونس ترفض ذلك.كما كان لتونس أطماع في قسنطينة إذ تعتبر نفسها الوارث الشرعي للعهد الحفصي.أما المغرب الأقصى فقد كان ينظر إلى الجزائر على أنها تشكل خطر عليه ينبغي تفاديه بكل الوسائل حتى ولو اقتضى الأمر التحالف مع الغرب[149].

كما كان للمغرب أيضا أطماع قديمة في تلمسان فقد ظهرت مؤامرات كثيرة بين البلدان المغاربية، ومن أبرزها اشتراك تونس والمغرب الأقصى وطرابلس في حملة عسكرية زحفت من تونس إلى قسنطينة سنة 1702م،بينما زحف السلطان إسماعيل من المغرب إلى تلمسان فتصدى الداي الحاج مصطفى لباي تونس وهو في قلعة سنان وطارد قواته إلى حدود تونس ثم اتجه إلى سلطان المغرب وواجهه في جديوية قرب الأصنام وهزمه[150].

أما طرابلس فرغم أنها لم تشارك في هذه الحرب بقواتها إلا أن الداي فكر في شن حملة عليها وحقق صلحا مع تونس لاستلامها وخرجت حملة من الجزائر إلى طرابلس وفي الطريق حولت اتجاهها إلى تونس في الوقت الذي كان الباشا التونسي إبراهيم الشريف يحاصر طرابلس تنفيذا للاتفاق وتواجهت القوات التونسية والجزائرية في

---

[149] صالح فركوس:المرجع السابق،ص 138.

[150] نفسه،ص ص138-139.

الكاف سنة 1705م وتبادلت النصر والهزيمة مما أدى إلى عزل الداي مصطفى وتعيين حسين خوجة ثم محمد بقطاش في منصب الداي[151].

وسرعان ما عادت الحوادث بين البلدين عندما قام باي تونس حسين بن على بقطع الإتاوات التي كان تؤديها تونس إلى الداي وقامت الجزائر بإطلاق سراح على باي المعارض للباي حسين بن على وهو من أسرته ولم تفلح وساطة الباب العالي في حسم الخلاف واستطاع على باي المتمرد أن يزحف بقوات جزائرية على تونس ويستولى على السلطة ويعترف بتبعيته إلى الجزائر ودفع ضريبة سنوية لها[152].

وعندما حصلت حوادث بين باي قسنطينة وباي تونس زحفت قوات الداي من الجزائر وسيطرة على الكاف وباجة، وحاصرت تونس العاصمة طوال شهرين وقام الرايس حميدو بمطاردة السفن التونسية الى ميناء سوسة واعتقال قائد بحرية تونس محمد البخاري.وار غمت تونس على دفع مقادير من الزيت سنويا لإنارة المساجد والزوايا بالجزائر ولم تنته الحوادث بين البلدين إلا في عهد على خوجة سنة 1718م[153].

2-علاقة الجزائر مع أوربا والولايات المتحدة الأمريكية

أ- أوربا:

---

[151] يحى بوعزيز :المرجع السابق،ص 52

[152] نفسه،ص 52

[153] نفسه.

أما علاقة الجزائر ببقية الدول الأوروبية فتجلت معظمها في إبرام معاهدات واتفاقيات على غرار السويد وهولندا اللتان وقعتا معاهدة صداقة و سلم مع الجزائر سنة 1729 م وكذلك مع الدانمارك سنة1746 بخصوص عمليات القرصنة والتجارة وبعدها مع البندقية سنة1763 أما علاقة الجزائر مع فرنسا فقد كانت تميل إلى السلم تارة وتارة أخرى إلى القطيعة، بحيث تميزت الفترة الممتدة بين 1766إلى غاية سنة 1790بالهدوء والاستقرار وحسن النوايا المتبادلة، حيث عمل الطرفان على تنفيذ التزاماتهما إزاء بعضهما البعض بكل ثقة و إخلاص وقاما كذلك في أواخر شهر مارس 1790بتمديد معاهدة السلم مائة سنة أخرى ،كما و اعترفت الجزائر بالثورة الفرنسية ووقفت معها في محنتها الاقتصادية عام 1789 م وأمدتها بالأموال والحبوب[154].

وفي سنة 1800 م عادت العلاقات الفرنسية الجزائرية إلى السلم بعدما تم التوقيع على هدنة غير محددة الأجل وتحولت إلى معاهدة سلم وصلح سنة1800وقد شهدت العلاقات بين الطرفين خلال الفترة الممتدة بين حالة من التوتر الشديد إلى حين عودة أسرة آل بربون إلى الحكم بعد سقوط نابليون بونابرت، حيث عاد الهدوء نوعا ما إلى حين وقوع حادثة المروحة بين الداي حسين و القنصل دوفال في 29 أفريل 1827م والتي قامت فرنسا على إثرها بالحصار البحري على الجزائر قبل أن تعلن الغزو الفرنسي بشكل رسمي سنة1830 م[155].

أما الأسبان فقد استمرت حملاتهم الصليبية على الجزائر،نذكر على سبيل المثال حملة سنة 1770 م التي منيت بهزيمة نكراء بشاطئ الحراش ثم تلتها غارة ثانية من أعظم الغارات الصليبية هي حملة أورييللي سنة 1775م التي أصيبت هي الأخرى

[154] صغيري سفيان المرجع السابق،ص 102.

[155] نفسه،ص 103.

بفشل ذريع ،ثم جاءت بعدها حملة سنة 1784م التي لقيت نفس المصير، وظل الأسبان بمدينة وهران والمرسى الكبير يعيثون فسادا ويشكلون خطرا كبيرا على وحدة البلاد[156].

وفي سنة 1791م توفي الداي محمد عثمان باشا،وخلفه الداي حسان باشا،وكانت الأعمال الحربية حول وهران مستمرة،وكانت اسبانيا لا تزال تلح في عقد الصلح ،مستجيبة لكل ما طلبته الجزائر،فقبل حسان باشا عقد الصلح مع اسبانيا،على الشروط التالية:- تنسحب اسبانيا من وهران والمرسى الكبير،دون قيد أو شرط.- تدفع اسبانيا لخزينة الجزائر،سنويا مقدار 120000فرنك، مقابل مكاسب تجارية يتحصل عليها الأسبان مقابل ذلك[157].

ب- مع الولايات المتحدة الامريكية:

ترجع علاقات الجزائر بالولايات المتحدة الأمريكية إلى أواخر القرن الثامن عشر،حين وقعت الدولتان على معاهدة 5 سبتمبر 1795م التى احتوت 22 مادة نصت على أن تدفع الولايات المتحدة ما يساوي حوالي مليون دولار،21600 منها كإتاوة سنوية،تدفع في شكل معدات بحرية،وتعهدت الجزائر بحماية التجارة الأمريكية في البحر المتوسط والعمل مناجل تحقيق السلام بين الولايات المتحدة من جهة وطرابلس وتونس من جهة أخرى وتطبيقا لهذه المعاهدة أطلق الجزائر سراح الأسرى الأمريكيين في سنة 1796م،كما أنجزت الولايات المتحدة بناء السفن للجزائر[158].

---

[156] صالح فركوس:المرجع السابق،ص 139.

[157] أحمد توفيق المدني:حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،دت،الجزائر،ص526.

[158] صالح عباد:المرجع السابق،ص217.

ورغم غلق البرتغال لمضيق جبل طارق أمام البحرية الجزائرية و تقديم الحكومة البرتغالية الحماية للسفن الأمريكية إلا أن السفن الجزائرية استطاعت الاستيلاء على 11 سفينة أمريكية في عام 1793 وبلغ عدد الأسرى الأمريكيين 150 أسيرا. وقد أدى هذا الى إحداث إثارة كبيرة في الولايات المتحدة وبذلت المساعي من أجل حل هذه المسألة. فأقر الكونجرس في عام 1794 إنشاء أسطول مكون من 6 سفن أمريكية لاستخدامها ضد الإعتداءات المعادية في البحر المتوسط [159].

ورغم إقرار أسلوب القوة إلا أن وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الجديد ادمون راندلوف اضطر لتخصيص مبلغ 800 ألف دولار لتحقيق السلام وتخليص الأسرى لدى الجزائر وفي عام 1795 سافر المندوب الأمريكي جوزيف دونالدسون إلى الجزائر للاتفاق على عقد معاهدة "الصداقة و السلام" بين الولايات المتحدة و الجزائر في 5 سبتمبر 1795 . و تم الإمضاء على المعاهدة رغم تحريض بريطانيا للداي على الاستمرار ضد النشاط التجاري الأمريكي من أجل القضاء عليه من ناحية، وتحجيم دور فرنسا من ناحية أخرى.

أما أهم مواد المعاهدة فهي أن تدفع الولايات المتحدة للجزائر إتاوة سنوية مقدارها 12 ألف من الذهب الجزائري مع إمكانية أن يتم الدفع عينيا، كأن يقوم الجانب الأمريكي بإعطاء الجزائر ما تحتاجه من معدات بحرية، و سواري السفن ولوازمها من حبال ، وأخشاب فضلا عن بعض المدافع والبارود على أن يتم حساب أثمانها من الإتاوة السنوية، وفي حالة الزيادة أو النقصان يتم التعويض.

[159] بوابة الجزائر 06-06-2016 http://www.algeriagate.info/2014/04/1830.html

وحدث تأخير من قبل الولايات المتحدة في إرسال ما تم الاتفاق عليه مع الجزائر فظن الداي أن الأمريكيين غير جادين في تنفيذ المعاهدة. و أبلغ المندوبين الأمريكيين بضرورة المغادرة خلال أيام وإذا لم يتم التسليم خلال شهر فسيلغي المعاهدة ويعلن الحرب. فلجأ المندوبان إلى أحد كبار التجار اليهود من آل بكري للتوسط لدي الداي لزيادة المهلة بعد أن حاولوا استمالة الداي بالوعد بإهداء سفينة إلى ابنته. فوافق الداي على زيادة المهلة إلى ثلاثة أشهر فقط. و وعدت الولايات المتحدة بإرسال اللازم في صيف عام 1797[160].

و في عام 1800م وصلت السفينة الأمريكية جورج واشنطن الى الجزائر تحمل الإتاوة السنوية استمرت العلاقة بين الجزائر و الولايات المتحدة تسير في ظل معاهدة 1795 م رغم حدوث بعض التوتر بسبب التأخر في إرسال الإتاوة إلى الجزائر، أو المعدات الحربية، والذي وصل في بعض الأحيان إلى التهديد والاستيلاء على السفن الأمريكية. وقد ازداد الأمر سوءا عند اندلاع الحرب الأمريكية البريطانية عام (1812 – 1814م) الأمر الذي أدى إلى توقف التجارة الأمريكية البحرية في البحر المتوسط.

وبعد انتهاء الحرب الأمريكية البريطانية قررت الولايات المتحدة حل مسألة الجزائر بصفة نهائية حيث كانت متأكدة من أنها ستجبر الجزائر على الرضوخ لمطالبها بسبب تدهور الأوضاع الداخلية في الجزائر نتيجة للصراع بين الدايات والإنكشارية فضلا عن

[160] نفسه.

أن الولايات المتحدة حاولت الاستفادة من قرارات مؤتمر فيينا عام 1815م[161]. والذي قررت فيه الدول الأوروبية إنهاء الإعتداءات على السفن في البحر المتوسط[162].

وفي عهد الداي عمر باشا (1815–1817م) ازدادت العلاقات الجزائرية الأمريكية سوءا عندما اخذ الداي يطالب بزيادة الجزية السنوية ولم يكتف بهذا فأعلن الحرب عليها في نفس السنة التي تولى فيها الحكم فيها،ورد عليه جيمس ماديسون (1809–1817م)[163] بإرسال بعض قطع الأسطول الأمريكي إلى مياه الجزائر للقتال وأتبعها برسالة إلى الداي بتاريخ 12 افريل 1815م يخطره فيها بقرار أمريكا الدخول في حرب ضده ويخيره بين اسلم والحرب،وانتهت في الأخير بإبرام الصلح بين الجزائر

---

[161] مؤتمر فيينا اجتماع عقد مابين أواخر عام 1814م وأوائل عام 1815م لتسوية النزاعات التي نشأت بسبب الحرب بين فرنسا وبقية دول أوروبا التي استمرت خمسة وعشرين عامًا تقريبًا. قرر المؤتمر كيفية حكم أوروبا إثر الهزيمة الوشيكة للإمبراطور والقائد العسكري الفرنسي نابليون الأول .لقد حظيت التسوية الواقعية التي تم التوصل إليها في فيينا (النمسا) بقبول واسع، وذلك بفضل مساعدتها في تفادي أي نزاعات أوروبية خلال المائة عام القادمة. وضع ممثلو الحلف الرباعي المنتصر (النمسا، بريطانيا، بروسيا، روسيا) وممثلو فرنسا المقررات الرئيسية للمؤتمر. وقد أعاد المؤتمر إلى السلطة العديد من ملوك وأمراء أوروبا الذين أزاحهم نابليون من الحكم أو أزاحتهم القوات المتحالفة مع الثورة الفرنسية. وشمل الحكام الذين تم إعادتهم للسلطة ملوك البوربون في أسبانيا، وما يعرف الآن بجنوبي إيطاليا، إضافة إلى حكام عدة مقاطعات في ألمانيا وشمال إيطاليا.ينظر :http://www.marefa.org

[162] www.algeriagate.info.

[163] **جيمس ماديسون، الإبن** (1751–1835) ، هو رجل دولة، منظر سياسي أمريكي ورئيس الولايات المتحدة الرابع .(1809–1817) عُرف "بأبي الدستور" لدوره المحوري في صياغة دستور الولايات المتحدة وكمؤيد بارز ومؤلف لقوانين لحقوق الأمريكية خدم كسياسي معظم سنوات حياته عين كوزير لخارجية جفرسون (1801-1809)، أشرف ماديسون على شراء لويزيانا، والتي ضاعفت مساحة البلاد. بعد انتخابه للرئاسة،(1809–17)أشرف على الازدهار المتجدد لعدة سنوات. ينظر :http://www.marefa.org

وأمريكا،وهكذا أخفقت دول أوربا الولايات المتحدة في إيجاد تحالف أو تضامن مشترك ضد دول المغرب العربي والجزائر على الأخص[164].

ثانيا: تطور نظام الحكم في تونس

1/ إلحاق تونس بالدولة العثمانية

نجت الحامية العثمانية من مطاردة دون جوان وجنوده ووجدت ملاذها في مدينة القيروان التي كان يحكمها القائد العثماني حيدر باشـــا واســـتنجد هذا الأخير بالســـلطان العثماني في استانبول وبزملائه في طرابلس الغرب والجزائر[165] .

يعود سبب فتح تونس من طرف السلطان العثماني سليم الثاني إلى الحملة التي كانت موجهة في الأصـــل لإنقاذ مســـلمي الأندلس ودعم ثورتهم ، ولما فشـــلت حولها لإنقاذ تونس.

---

[164] يحيى بوعزيز: المرجع السابق،ص 61.

[165] محمد العروسي المطوي،السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي ، ص729

خرجت هذه الحملة من إستانبول وعلى رأسها سنان باشا ومعه العلج علي أمير البحر ، وكانت الحملة مكونة من 1500 سفينة بوم 31 جويلية 1573م ، ووصلوا إلى حلق الوادي ، والتحق بهم حاكم القيروان حيدر باشا وحاكم طرابلس الغرب مصطفى باشا ليلا ، فأرسل معهم سنان باشا الجنود وأمرهم بمحاصرة تونس ، عندها الحاكم الحفصي .

وصل الدعم من إيالة الجزائر ، وبدأت المجابهة بحصار حلق الوادي حيث دام الحصار 43 يوما ، إلى تمكن العثمانيون من فتح تونس.

2/ تطور نظام الحكم في تونس

أ- حكم الباشاوات 1574 – 1591م

لما فتح الوزير سنان باشا تونس ترك بها ثلاثة إلى أربعة آلاف من الجند العثمانيين لحراسة البلد وتأمينها وجعل لكل مئة منهم أمير يسمى الداي ورتب لضبط الجباية أمير يسمى الباي وهو رمضان باي ، وجعل فيها قاضيا حنفيا ، وجعل أيضا حاكما للجند هو الأغا ، وعين عليه باشا هو حيدر باشا [166]، وخطب في المنابر باسم السلطان العثماني وضرب السكة باسمه أيضا ، واستمر الحال 1591م.

ب-حكم الديات 1591م الى منتصف القرن 17م

ثار الجند صغار البلكباشية على كبار الديوان وقتلوا منهم الكثير ، ثم ذهبوا للباشا وقدموا أحدهم وهو إبراهيم رود سلي دايا ، وبعدها رجع هذا الأخير لبلاده ، وتم تعيين موسى دايا وسافر هو الاخر للحج ولم يعد ، ثم تنازع داي وصفر داي على المنصب ، فسبقه عثمان واستقر بالقصبة .

اعترف الباب العالي بعثمان دايا على تونس ، وأرسل باشا اسميا بدون سلطة ، وتعاقب دايات على الحكم أشهرهم :

[166] شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ص ص 108-109.

– عثمان داي 1598 – 1610م: وقد اشـــتهر بما بذله من جهد لتعمير البلاد وبما أصـــدره من القوانين المنظمة لشـؤون الرعية وكذالك ما بذله لتســهيل اســتقرار مهاجري الأندلس .

– يوسف داي 1610 – 1631م : ومن آثاره الباقية مسجده والمدرسة اليوسفية وفي عهده اشـــتد الخلاف على الحدود بين الجزائر وتونس ن كما اســـترجعت تونس جزيرة "جربة" من ولاة طرابلس الغرب [167].

وهناك دايات منهم اســطا مراد ، أحمد خوجة داي، محمد لاز داي ، مصـــطفى لاز داي ، مصطفى قاره كوز داي ، محمد حاج أغلى داي ، شعبان خوجة داي وهذا الأخير تم خلعه من طرف مراد باي الثاني في 11 أفريل 1672م ووضـع مكانه محمد منشـالي ، ومن يومها لم يبقى لهم سلطة ، وأصبح تعيينهم يتم من طرف البايات .

ج– حكم البايات المراديين : منتصف القرن 17م حتى عام 1702م

مؤسس الدولة هو مراد كورسو وهو مملوك من أصل كورسيكي ، أسر صغيرا وجاءوا به إلى تونس ، فاشـــتراه رمضـــان باي ورباه ودربه على قيادة المحلة الخاصـــة بجمع الضـــرائب، وفي عام 1613م أصـــبح مراد بايا مكان ســـيدهُ ثم باشـــا[168] ، وبعد وفاته 1631م خلفه ابنه حمودة باشا حتى عام 1645م .

اسـتطاع المراديون التعرف على المجتمعات البدوية والقبائل والسـيطرة عليها ، فألفوا جيشـا من الأهالي والزواوه وهم مشـاة من البربر وفرسـان الصـبايحية من القبائل المخزنية ، ثم وســـعوا النظام الجبائي ليشـــمل عدد كبير من القبائل والمناطق وازداد المدخول ،

---

[167] نفسه ، ص109.

[168] نفسه شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص109.

فأصـــبح الباي منافس قوي للداي بالمال والجيش ، ونظم حمودة باشـــا بلاط تقام فيه احتفالات على شاكلة الملوك يبهر بها أهل العاصمة .

وفي عهد ابنه مراد الثاني 1666 – 1675م أصــبح يتصــرف كحاكم بأمره ، فيقيل الدايات من مناصبهم .

تدخلت الجزائر في عامي 1694–1695م لإعادة الديات لكن دون جدوى ، في حين بعد وفاة مراد باي الثاني عام 1975م حدث نزاع بين أبناءه علي ومحمد وعمهما محمد الحفصي واقتسمت البلاد في 1680م ثم رجع الهدوء بانتصار محمد عام 1686م .

اضــطربت أحوال البلاد عام 1699م بســبب النزاع بين مراد وعمه رمضــان وانتهى بذالك حكم البايات المراديين عام 1702م على يد إبراهيم الشـريف وهو ضــابط تركي ، قام بتصــفية كل أفراد العائلة المرادية ، بســبب ســيرة مراد الثالث الدموية وما ثام به من اســتبداد في حق شــعبه[169] ، إلا أن أفراد الأســرة المرادية قاموا بعدة أعمال هامة منها مشاريع عمرانية كبناء المساجد والمدارس...

د- حكم البايات الحسينيين 1702 – 1956م

انهزم إبراهيم الشريف وأسر من طرف الجزائريين في جويلية 1705م ، وجدت البلاد نفســها مهددة بغزو جيش جزائري يحاصــر العاصــمة ، منصــب أصــحاب الحل والعقد حسين بايا على تونس لما له من خبرات ، فقد كان كاهية لإبراهيم الشريف ، وأصله من جزيرة كريت ، وفد أبوه على تونس أيام الدولة المرادية وانخرط في الجند ونشأ ابنه حسين في كنف البايات المراديين وتدرج في عدة وظائف[170] .

---

[169] محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، ص ص 78–80.

[170] شوقي عطاالله ، المرجع السابق ، ص 110

يئس الجيش الجزائري من الحصار فانسحب ، فحول حسين بن علي الإنسحاب إلى نصر واستفاد من هذا الإنتصار ، ثم حصل على الحكم الشرعي بفرمان التولية في جوان 1706م ، وقام بجمع كل السلطات في يده ، فجنود الإنكشارية عملوا على السهر على النظام وحفظ الأمن، وبذالك تراجع دور الديوان والداي وتم إخضاعهم وانحصر عملهم في القيام ببعض الأدوار الشرفية[171] .

كان من اهتمامات حاكم تونس ترميم سور تونس وتحصين قلاعها ثم عمل على إقرار الأمن والعدل ، وبنى مدرستي الحسينية والنخلة وجدد قصر بادوا ...

ثم خرج عليه ابن أخيه علي بن محمد وحدثت الازمة الباشية 1728 – 1740م ، حيث قتل حسين بن علي ، واستولى علي بن محمد على السلطة .

وفي عام 1756م وبمساعدة الجزائر استرجع أبناء الحسين السلطة محمد الباي 1756–1759م ، ثم علي باي الثاني 1759 – 1783م ، وقد اهتم هذا الأخير بترقية البلاد والتعمير ، بالإضافة إلى الفلاحة والصناعة .

ثم تولى الحكم ابنه حمودة باشا1782 [172] – 1814م فتعاون مع أعيان البلاد ونخص بالذكر منهم الوزير يوسف صاحب الطابع ورئيس الكتيبة محمد بن محمد الأصرم وقائد الجيش سليمان كاهية فنهضت البلاد في عهده في مختلف المجالات كالصناعة والفلاحة والتجارة ، وحفلت فترة حكمه بالحروب ، كان من أشهرها المعارك التي خاضها ضد الثائر علي برغل والذي طرد علي بن محمد القرمنلي حاكم طرابلس ، كما خاض عديد المعارك ضد الجزائريين ، وارتبط في نفس الوقت بمعاهدات تجارية مع

---

[171] محمد الهادي الشريف، مرجع سابق ، ص 82

[172] أحمد بن أبي الضياف، إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، مج 2، ج 3 ، ص11.

كل من إســـبانيا وهولندا والو.م .أ ، وكانت لع علاقات طيبة مع نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا ، توفي في سبتمبر من سنة 1814[173].

ثالثا: تطور نظام الحكم في ليبيا

___إحتل الإسبان العديد من سواحل المغرب الأوسط والأقصى خلال العقد الأول من القرن 16م ، بعد ذالك وجهوا حملاتهم إلى طرابلس الغرب التي كانت تحت الحكم الحفصي وتمكنوا من الإستيلاء عليها بعد مقاومة أهلها البطولية ، وبذالك سيطر الأسبان على النشاط التجاري[174].

لم يدم حكم الاسبان لطرابلس الغرب طويلا فقد تم التنازل عليه لفرسان القديس يوحنا لعدة أسباب :

- من أجل كسب عطف المسيحيين والإلتفاف ومساندة الملك الإسباني شارلكان
- تكبد الاسبان خسائر فادحة ، لذالك إضطروا للحفاظ وتعزيز القوات في الجزائر والمغرب الأقصى في مقابل الخروج من طرابلس الغرب .
- الحرب الاسبانية الفرنسية ...

إن دخول العثمانيين إلى شمال إفريقيا وسيطرتهم على الجزائر التي أصبحت قوة إقليمية في المنطقة خاصة بعد هزيمة الإسبان على إثر حملة شارلكان في سنة 1541م ، فكان لابد من التوجه إلى طرابلس الغرب وتحريرها من الصليبيين.

---

[173] محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص ص 88 – 91.

[174] شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الإحتلال الإيطالي ، ص 86.

لقد تطلع العثمانيون إلى السيطرة على كل منطقة شمال إفريقيا وتحريرها من الصليبيين ، فقد عجلت استغاثة أهل طرابلس بالإمبراطورية العثمانية إلى إرسال الأسطول بقيادة مراد آغا والريس درغوث باشا[175] .

بوصول الأسطول العثماني إلى طرابلس تمكن من ضم كل من " مسلاته" و"ترهونة " ، "غريان"،و "بني وليد" ، بعد ذالك طلب الريس درغوث باشا من السلطان تعزيز القوات للتحرير النهائي ، فأرسل الباب العالي الريس سنان باسا مع أسطول ضخم يتكون من 112 سفينة ، و52مركب ، حوالي 8000إنكشاري و400محارب وصانع و600فارس .

وفي أوت من سنة 1551م بدأت ملامح هزيمة فرسان القديس يوحنا بانسحاب من عدة مناطق رغم مساعدة الاسبان وتدخل الفرنسيين حلفاء العثمانيين للوساطة ومحاولة إبقاء فرسان يوحنا في طرابلس الغرب ، لكن ذالك لم يجدي وتمكن العثمانيون من طردهم ، وبذالك تصبح طرابلس الغرب إيالة عثمانية وبصفة رسمية[176] وتم تعيين مراد آغا بايلرباي عليها . وسنحاول معرفة كيفية تطور هذا النظام .

مر الحكم العثماني في طرابلس الغرب بعدة مراحل مهمة هي :

1-عهد البيلربايات 1551-1606م

أ- ولاية مراد آغا:

تميز هذا العهد في جميع الولايات العثمانية بالهدوء والاستقرار ، يعود ذالك بالأساس إلى قوة الدولة العثمانية التي إستطاعت أن تحقق أقصى توسعاتها .

---

[175] مقلاتي عبد الله ، المرجع في تارخ المغرب الحديث والمعاصر(الجزائر – تونس–المغرب–ليبيا) ، ص 50.

[176] شارل فيرو، المرجع السابق ، ص 115.

تولى مراد آغا الحكم وعمل على تحويل مركز إدارته من مدينة تاجوراء إلى مدينة طرابلس الغرب وجعلها مقرا له ، حاول فرسان القديس يوحنا إستعادة طرابلس بتسيير حملة بعد مرور سنة على إلحاقها بالإمبراطورية العثمانية ، لكن مراد آغا تمكن من رد هذه الحملة وهزيمة الصليبيين[177] .

ب- ولاية درغوث باشا

يعتبر درغوث باشا من المطالبين الأوائل بتحرير طرابلس الغرب وإنقاذها من الغزاة الأوربيين ، وكان من المفترض أن يكون هو أول بيلرباي في ليبيا ، لكن بعض المقربين من السلطان وقفوا ضد تعيينه وبالتالي نصب مكانه مراد آغا غير أن درغوث باشا بقي يتطلع إلى ولاية طرابلس إلى أن تحقق له ذالك بعد خمس سنوات من إلحاقها للباب العالي[178].

بعد وفاة مراد آغا في سنة 1555م خلفه درغوث باشا ، حيث بدأ في توطيد الحكم العثماني من خلال إخضاع المناطق الداخلية وإنهاء الفوضى ، وإلحاق القبائل الثائرة ، بالإضافة إلى تنظيم فرق الإنكشارية والعمل على مراقبتها لضمان سلامة الأهالي والحد من التفكك والإقتتال ، بالإضافة إلى أنه عمل على تشجيع الأعمال البحرية ، وبعد عشر سنوات شارك درغوث باشا في حملة العثمانيين ضد فرسان القديس يوحنا في مالطا ، حيث فشل الأتراك في دخولها وتعرض أسطولهم إلى الدمار واستشهد حاكم ولاية طرابلس ونقل جثمانه ليدفن بطرابلس في جوان 1565م .

---

[177] طاهر أحمد الزاوي ، ولاة طرابلس الغرب من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي ، ص ص 154-155.

[178] إتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، ص 182.

إن الولاة الذين خلفوا درغوث باشا من البيلربايات لم يكونوا في المستوى ماجعل البلاد تدخل في العديد الأزمات السياسية والإقتصادية ، جعلت من حتمية تغيير النظام القائم إلى نظام جديد بدأت ملامحه تتضح وتتشكل خلال فترة 1595-1606م[179].

2-عهد الدايات:

تولى الإنكشاريون إدارة البلاد من خلال ديوانهم ، حيث وضعوا نظما وقواعد على الذي يختار ويحضى بثقة الديوان يجب الالتزام بها منعا لانتشار الفوضى ، كما حددت مهمة الوالي المعين من إستانبول ، ونصت تلك القوانين على انتخاب رئيس الديوان لمدة ستة أشهر ، وأن يلقب الشخص الفائز بثقة الديوان باسم الداي[180] .

من أهم الديات نجد:

1-**الداي سليمان:** يعتبر أول إنكشاري ترأس ديوان الجند في طرابلس ، في البداية لم يكن راغبا في الالتزام بقرارات الديوان ونظامه ، تنازل على منصبه بعد أن دبت الفوضى في الديوان ، إلا أن هذه الفترة تميزت بالعدل ، وازدهار البحرية والنشاط التجاري.

2- الداي صفر

فاز الداي صفر بثقة الديوان وانتخب في 1611م رئيسا لديوان الجند ، وتمكن من إقناع ضباط الديوان بضرورة جمع سلطة الوالي ورئاسة الديوان في يد شخص واحد بموافقة الباب العالي ، عمل على تجديد السفن وتوسيع ترسانة طرابلس الغرب ، كما رحب بالتجار الأوربيين ، إنتهى به المطاف في الأخير إلى الإعدام [181].

---

[179] محمود ناجي ، تاريخ طرابلس الغرب ، ص150.

[180] محمود علي ، محمد خير فارس ، المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى ليبيا)، ص 187.

[181] الطاهر أحمد الزاوي ، المرجع السابق ، ص ص 170-172.

3-عثمان باشا الساقزلي

خلف محمد باشا الساقزلي ، اتفق أعيان طرابلس على تعيينه نظرا لخدماته وخبرته ، فد سار على نهج سلفه ، وأولى اهتماما بالغا في تطوير البحرية وخفف الضرائب على الرعية ، استمرت ولايته مدة ثلاثة وعشرين سنة ، حيث يعتبر الكثيرين أن فترة كل من محمد باشا وعثمان باشا والتي امتدت من 1631م إلى 1682م أنها فترة قوة ، وبموتهما بدأت أوضاع الولاية العامة بالتدهور لمدة أربعين سنة انتهت بقيام الأسرة القرمانلية في سنة 1711م[182].

3- الأسرة القرمانلية وتثبيت الحكم في طرابلس الغرب

أ- العهد القرمنلي الأول1711-1793م

يجمع المؤرخون على أن قيام الأسرة القرمانلية في طرابلس الغرب سنة 1711م تزامن مع وصول أسرة الحسين بن علي في تونس 1705م والتي استمرت في الحكم إلى 1956م، بينما ظل النظام الإنكشاري والمتمثل في الدايات في الجزائر قائما لمدة طويلة ، إلى غاية وقوع الاحتلال الفرنسي في سنة 1830م .

كانت فترة ما بين 1710-1711م حقبة مليئة بالقلاقل ، حيث كانت طرابلس تحت حكم الداي " الحاج رجب" والذي مكث في السلطة مدة قصيرة ، خلفه "محمد ابن الجن " الذي اهتم بالجيش واسند قيادته إلى أحد ضباط الديوان يدعى " محمود أبي أميس" ، حيث سعى هذا الأخير للوصول إلى السلطة ، من خلال إغتيال الداي محمد بن الجن ، وتمكن من الوصول إلى الحكم فعلا بإقناع الديوان بأن الداي المقتول أراد أن بقتله وأنه طغى في البلاد ، فتم مبايعته وتعيينه حاكما ، وخلال ستة أشهر فقط تعاقب على الحكم في طرابلس الغرب أربعة دايات هم على التوالي : إسماعيل ، ورجب ومحمد ومحمود ،

[182] علي مسعود البلوشي ، تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي ، ص ص 40-41.

فجميعهم كانت غايتهم جمع الأموال والاستيلاء على خزينة الدولة، ونتيجة لهذه الأحداث كان لابد من تغيير هذا النظام الفاسد ، فظهرت شخصية أحمد "القرمانلي " وهو من الكراغلة كان حليف " محمد بن الجن وهو من الكراغلة أيضا، حيث ساعده في إزاحة إسماعيل داي والقضاء على العناصر التركية ، ويقول ابن غلبون في هذا الصدد : "هكذا انتهى حكم الأتراك وبدأ حكم القولوغية".

يرجع المؤرخون على أن جد القرمنليين كان مجرد قرصان من مواليد مدينة قرمان بالأناضول قدم إلى طرابلس الغرب في زمن ولاية درغوث باشا.

- **أحمد باشا القرمانلي :** من مواليد 1686م وهو مؤسس الأسرة القرمنلية بطرابلس الغرب ، حكم بين عامي 1711-1754م، بويع بالولاية يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة 1123هـ الموافق لسنة 1711م ، يحسب له أن قام بتوحيد أقاليم ليبيا والقضاء على الثورات الداخلية كثورة حسين الكورغلي ، وكان له العديد من الأعمال كبناء الأسوار[183] والمساجد ، توفي عن عمر ناهز 60سنة منتحرا بعدما أصيب بفقد بصره ودخوله في حالة من العذاب النفسي[184]، خلفه أبناءه محمد باشا وعلي باشا الذي استسلم للإنكشارية الذين صاروا يحكمون بإسمه ، بالإضافة إلى إنتشار الأمراض والأوبئة في هذه الفترة أودت بحياة الكثيرين ما أدخل البلاد في أزمة دفعت الطرابلسيين إلى الإستنجاد بحكومة الأستانة في أواخر القرن 18م.

ب- العهد القرمانلي الثاني 1793-1835م

[183] أبي عبد الله محمد بن خليل الغلبون ، التذكار في من ملك طرابلس ومن كان بها من الأخبار ، ص210.

[184] الطاهر أحمد الزاوي ، المرجع السابق ، ص 224.

كان لعلي باشا ثلاثة أولاد هم حسن ويوسف وأحمد ، وقد كانت العلاقة بينهم سيئة للغاية ، حول من يرث الولاية بعد أبيه ، إلا الباب العالي عين علي برغل ويدعى أيضا بعلي الجزائري بفرمان على ولاية طرابلس ، وحين وصـــوله تلى على الأهالي فرمان السلطان الذي يعلن تنحية أسرة القرمانلي وتولية علي برغل الولاية ، فالتجأ علي باشا إلى تونس لعلاقته الجيدة مع حمودة باشا ، في حين انسحب أبناءه إلى الضواحي.

لقد كان والي طرابلس الجديد محبا للمال والتسلط ، إذ سير حملة على تونس المساندة للأسرة القرمانلية ، حيث نالت هذه الحملة الكثير من الغنائم ، إلى أن حمودة باشا أراد الإنتقام لذالك ، ففي 16 جانفي 1795م ســـير حملة وتمكن من عبور الحدود الليبية وانضم إليه يوسف القرمانلي ومساندیه من القبائل ، فلم يجد علي برغل إلى حل الفرار إلى مصر، وتم تولية أحمد باشا القرمانلي على ولاية طرابلس خلفا لأبيه وأسند منصب ولي العهد لأخيه يوسف بفرمان من الباب العالي[185] ، وبذالك تعود الأسرة القرمانلية إلى السلطة في طرابلس الغرب مرة أخرى، ولكن هذا الاستقرار لم يدم طويلا بعودة الصراع الأسري مرة أخرى ، حيث ثار يوسف باشا على أخيه وتمكن من الاستيلاء على الحكم باعثا للسلطان العثماني رسالته يشرح له فيها أسباب توليه السلطة مرفقا بالهدايا ، مطمئنا الباب العالي بهدوء الوضع والتحكم فيه[186] .

لقد قام يوسف باشا بإصلاحات في كافة المجالات الإدارية والاقتصادية وأيضا على مستوى تطوير الجيش ،والأسطول وتم إخضاع الثورات على غرار ثورة ابنه الأكبر محمد بك سنة 1817م .

---

[185] علي بن إسماعيل عمر، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا ، ص 278.

[186] أحمد النائب ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ص 329.

تداخلت عديد العوامل في تعجيل نهاية حكم الأســـرة القرمانلية ، فعلى المســـتوى الاقتصـادي سـاءت أوضـاع البلاد في أواخر حكم يوسف باشـا وتراجعت عائدات الجهاد البحري ، ما دفع بالحاكم الطرابلسي بفرض ضرائب أثقلت كاهل السكان ، بالإضافة إلى توالي المجاعات بسب مواسم الجفاف ، وازداد نفوذ الدول الأوربية وأصبحت تتدخل في الشؤون ليبيا، وهذا ما دفع البابا العالي في آخر المطاف العمل على إرجاعها إلى الحكم المباشر[187] .

3- المغرب الأقصى في ظل الحكم السعدي والعلوي:

أ- العهد السعدي:

بدأ نفوذ السـعديين في بلاد درعة والسـوس الأقصـى وكان ظهورهم في وقت كانت الشـواطئ المغربية فيه عرضـة لأطماع البرتغاليين والأسبان،بينما كانت الدولة الوطاسية قد وصـلت إلى درجة من الضـعف بحيث أصـبحت عاجزة عن رد الأعداء الذين أخذوا يستولون على الثغور المغربية الواحد تلو الآخر[188].

[187] علي بن إسماعيل عمر، المرجع السابق ، ص314.

[188] نفسه، ص165.

ترجع عوامل تأسيس الدولة السعدية إلى عاملين أساسيين وهما العامل الديني والسياسي:

- السعديون أشراف فهم يرون أنهم أحق بالملك من بني وطاس الذين فشلوا كليا في ضم المغرب في وحدة سياسية متماسكة.
- كان من الضروري توحيد صف المقاومة الشعبية التي تصدى لها على الخصوص الصلحاء والمتصوفة ولم يكن بين شخصيات المغرب أحسن مقاما من الأشراف الذين كانت لهم في نفوس المغاربة مكانة عظيمة.
- كان الخطر الأجنبي على البلاد قد تفاقم حتى لم يعد للمقاومة الشعبية فائدة تذكر إذ لم تبادر دولة محكمة الجهاز إلى تبنيها وتنسيقها[189].

ومن الأحداث والتطورات السياسية التي شهدها المغرب الأقصى قبل معركة وادي المخازن وحملة المنصور الذهبي على السودان الغربي.انسحاب البرتغاليين من الشواطئ المغربية منذ أواسط عهد العباس الأعرج (1517-1550م)، وكان خروجهم من أسفي حوالي 1526م،وكذلك الصراع بين الوطاسيين والسعديين حول امتلاك مراكش وقدم تم الاتفاق بين الطرفين على اقتسامها مناصفة لكن السعديين ونظرا لقوتهم وأريحية الوضعية العسكرية التي هم فيها نقضوا هذا الميثاق ودارت بينهما معركة فاصلة عند مشروع أبي عقبة بتادلا انهزم على أثرها "الوطاسيون" سنة 1536م[190].

وأما في عهد محمد الشيخ المهدي(1539-1556م) تم الاستيلاء على أكادير سنة 1542م، وطرد البرتغاليين منها،وقد تردد صدى هذا الانتصار ليس في المغرب

[189] ابراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ،ط1،مج2،دارالرشاد الحديثة،،الدار البيضاء،1978،ص ص273-274.
[190] نفسه، ص ص286،278.

فحســـب،بل حتى في البرتغال التي عزمت منذ هذا التاريخ على التخلي تدريجيا عن مراكزها بالمغرب الأقصـى،وفي سـنة 1547م قام محمد الشـيخ بالاسـتيلاء على مكناس وقام في 1549م، بمحاصرة فاس وغزو تلمسان سنة 1551م[191].

ولم تكد تمضـــي ســـنة على تنصـــيب الغالب بالله خليفة حتى قام الجيش التركي بهجوم على التراب المغربي بقيادة حسن بن خير الدين باشا،واصطدم الفريقان عند وادي اللبن،وانهزم الأتراك منســـحبين إلى المغرب الأوســـط،و كانت مراكبهم قد نزلت بســـبتة وطنجة حسبما يذكر صاحب الترجمان المعرب[192].

إن أهم ما ميز المغرب إبان فترة حكم الســـعديين هو بروز الكثير من الأحداث السـياسـية الداخلية والخارجية تصـدى لها السـعديون بكل قوة وسـخروا كل الإمكانيات المتاحة من أجل الحفاظ على ملكهم ،ومن الأحداث البارزة التي ســـنتطرق لها في هذه الفترة، موقعة وادي المخازن – معركة الملوك الثلاثة– سنة 1578م ضد البرتغال ،وحملة المنصور الذهبي على السودان الغربي سنة 1591م.

أ- موقعة وادي المخازن1578م:

كانت السـياسـة البرتغالية في عهد جان الثالث 1521-1557م قد أدارت ظهرها للمغرب وشـؤونه وانصـرفت لاسـتغلال البرازيل.غير أنه وحينما تسـلم الدوق "سـبيسـتيان" العرش 1557م، أولى المسـائل المغربية اهتماما كبيرا.ويعود هذا لتأثير الوسـط الذي كان

[191] نفسه.

[192] نفسه.

يعيش فيه "سباستيان" وهو وسط جزويتي متعصب حاول أن يدخل في نفس "سباستيان" انه بطل الكاثلوكية في صراعها ضد البروتستانتية[193].

و ازدادت حماسة "سباستيان" لتنفيذ مشروعه حين لجأ إليه المتوكل الذي أبدى استعداده لتقديم تنازلات واسعة وصلت إلى حد التنازل عن الساحل المغربي المطل على الأطلسي مع ستة فراسخ إلى الداخل وتسليم تطوان والقصر الكبير،وتسهيل التبشير المسيحي في المغرب واعترافه بالتبعية إلى الملك البرتغالي وقدم كسلفه على المعاهدة أصيلا[194].

وهكذا قاد"سباستيان" نفسه جيشه متوجها من قادس إلى طنجة،ثم أبحر قسم من الجيش إلى أصيلا التي كان البرتغال قد انجلوا عنها سنة 1551م ثم استرجعوها في آخر سنة 1577م[195].

وفي الجهة المقابلة كان "المعتصم" قد أنهى في هذه الظروف عمليات التهدئة في المناطق السوسية،وكان يتبع تطورات التدخل البرتغالي واتصالات المتوكل،عن كثب،فأسند إلى أخيه "أحمد" تنظيم التعبئة العامة،وإلى "إبراهيم السفياني" مهمة قيادة

[193] محمود على عامر ومحمد خير فارس:المرجع السابق ،ص ص 52-53

[194] نفسه.

[195] إبراهيم حركات:السياسة والمجتمع في العصر السعدي،دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،1987مص 70.

طلائع الجيش في ضـواحي القصـر الكبير،وذلك أن هذه المناطق سـتصـبح عما قريب مسرحا لإحدى أعظم معارك التاريخ[196].

وتابع جيش "سباستيان" سيره حتى وصل إلى الضفة اليسرى لوادي المخازن وعسـكر في مثلث تكون زاويته من التقاء نهري(وارور) ووادي المخازن ووصـل الجيش المغربي قبالة الجيش الغازي في هذا المكان حيث وقعت المعركة الفاصـلة بين الجيشين في 4 من أوت سـنة 1578م، وبعد كر وفر من الجانبين انتهت المعركة وأسـفرت عن خسـارة الجيش البرتغالي وأعوانه من المغاربة والأوربيين وفراره أمام الجيش المغربي ولم يبق أمامهم إلا الاسـتسـلام أو الموت،فكانوا بين مسـتسـلم وغريق وهكذا مات في هذه المعركة ثلاثة ملوك وهم (محمد بن عبد الله– المسـلوخ،وأبو مروان بن الشـيخ– عبد المالك ودون سباستيان) [197].

وهناك خلاف كبير فيما تذكره المراجع التاريخية عن عدد القتلى من الفريقين، حيث يروى أن البرتغاليين قد بلغ أعداد قتلاهم في هذه الموقعة مالا يقل عن 25 ألفا أما الطرف المغربي كلف الانتصار ثمنا غاليا حيث قتل ما لا يقل عن 18 ألفا على ما جاء في رواية ساقها "دوكاستري" وإن كنا نعتبر عنصر المفاجأة في إطلاق المدافع المغربية ،والهزيمة العاجلة التي حلت بالجيش البرتغالي يقتضـي أن تكون الخسـائر المغربية أقل جدا مما رواه "دوكاستري" [198].

لكن أسـرى البرتغال وصـل عددا ضـخما قدر بنحو 14 ألفا أسـير أفتدوا بمبلغ ضخم من الذهب حتى أن بعض المؤرخين يرجع لهذا السبب تلقيب "المنصور بالذهبي" إذ كان ما حصـل عليه من الذهب من البرتغال في تقدير بعض المراجع أكثر مما جلبه

---

196 نفسه.

197 شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق،ص ص174-175.

198 إبراهيم حركات: المرجع السابق،ص 73.

من السـودان بعد غزوه .أما جثة الملك "سـباسـتيان" فقد أرجعها المنصـور إلى البرتغال ورفض أن يقبض المال مقابل ذلك[199].

ب- حملة المنصور الذهبي على السودان الغربي سنة 1591م:

بعد أن أمن المنصـور من ناحية الترك وجه أنظاره نحو بلاد السـودان الغربي فبعث إليهم القائد- أبا عبد الله محمد البركة والقائد "أبا العباس أحمد بن الحداد العمري" في جيش كثيف فاستولى على تيكوارارين، وتوات سنة 990هـ .1590م، وأثر ذلك أرسل صاحب مملكة "برنو" إلى السلطان "المنصور" هدية وطلب أن يمده بالمساعدة العسكرية ضد إمارة " كاغو"،كما قبل الدخول تحت طاعته والاعتراف ببيعته[200]

ويمكن حصر الأسباب التي أدت إلى فتح المنصور للسودان الغربي فيما يلي:

1- عامل التوسع السياسي: فالمنصور السعدي كان يعتبر نفسه خليفة،ويستمد سلطة الخلافة من نسـبه،وشـجعه فتح "تيكوارارين" وتوات على التمادي في فتوحه جنوبا لأنه أمن المضـــايقة من الخارج،ولم تكن بلاد ما وراء الصـــحراء قد فتحت بعد صدورها للأجانب غير الأفارقة.

2- العامل الاقتصـــادي: كانت موارد المغرب الأقصـــى أدنى من أن تتســـع لســـد حاجيات الدولة من نفقات عسـكرية ومنشـآت عمرانية و اجتماعية ،وكان معروفا عن السودان أنها تتوفر على معادن الذهب التي طمع المنصور في استغلالها.

3- العامل العســـكري: لم تكن الســـودان تتوفر على قوة عســـكرية حديثة التنظيم والتســـليح،فليســـت للجيش مدافع،حتى ولا بنادق،وعلى العكس من ذلك،الجيش

---

[199] - شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق،ص 175.

[200] شوقي الجمل:المرجع السابق،ص180.

المغربي الذي كان بالرغم من قلة أفراده مجهزا على أحدث طراز بالنســـبة لذلك العصر[201]

4- العامل الديني: كان المنصـــور يرمي بهذا الفتح إلى توحيد كلمة المســـلمين في غربي إفريقيا وتوحيد قواهم للوقوف صفا واحدا إمام الهجمات الخارجية« وقصدنا لما يحصل من ذلك صرفه إنشاء الله في سبيل غزو والجهاد...لنكاية عدو الدين بالمرصاد،واعتمدناها للذب عن كلمة الإسلام وحياضه البلاد والعباد»[202]

وقد اتخذ المنصور من إمكانية استغلال خيرات السودان للجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وضد أعداء الإسلام وإنقاذ الأندلس وإرجاعها إلى حظيرة العرب والمسلمين سببا قويا لتبرير فتحه لهذه البلاد«...للاستكثار من الأسطول لغزو عدو الدين والأجلاب عليه بحول الله في عقر داره»[203]

وأثناء المداولة،أبدى بعض المستشارين شكوكهم في إمكانية تحقيق غزو السودان بحجة:

1-صـــعوبة اجتياز الصـــحراء القاحلة و«...واعتراض المفاوز البيد والمجاهل القفار التي لا تشـــقها الرفاق القلائل إلا بعد عصـــب الريق والإفلات من مخالب الهلكة»[204].

---

[201] إبراهيم حركات: المرجع السابق ،ص298.

[202] محمد رزوق:دراسات في تاريخ المغرب: المرجع السابق،ص108.

[203] عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية،ط3،منشورات جمعية المؤورخين المغاربة،الرباط،المغرب،2006،ص 156.

[204] عبد العزيز الفشتالي:مناهل الصفاء في مآثر موالينا الشرفاء،دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم،مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة،المغرب ،دت،ص126،وتاريخ الدولة السعدية،ص156.

2-عدم تفكير أي دولة من الدول المغربية السابقة يغزو السودان على الرغم مما اتصف بعضها من «...وفر الأجناد وإمتداد ظل السلطان...ولو كان ذلك في طوق إمكانهم لكان همهم الذي يسرع إليهم هو إبتدارهم »[205]

لكن المنصور أستطاع أن يقنع مستشاريه مركزا على نقاط عدو منها:

1- تفوقه العسكري وعلى ما يتوفر عليه الجيش المغربي من أسلحة فتاكة لها كانت عليه الحال بالنسبة للدول المغربية السابقة التي لم تخرج عن«...عساكر الخيل والفرسان الرامحة وعصائب الرماة الناشبة...»[206]

2-غنى السودان وضخامة مواردها وإمكانية الوصول إليها لما يتوفر عليه المغرب من أقاليم صحراوية كتوات وتيكورارين وبلاد الطوارق الساحلية،وجميعها تعتبر منافذ هامة نحو بلاد السودان وقواعد انطلاق للقوات الغازية، وقد اتخذ المنصور من التجار

3-الذين كانوا يتاجرون مع السودان ويقطعون الفيافي والقفار للوصول إليه مثلا يمكن الإقتداء به «...**ثم هؤلاء التجار الخائضون لغمارها المختلفون إليها يعبرونها بأوتار البضائع الثقيلة وأحمال المتاع الجمة بين صدر وورد..**»[207]

4- أخذ المنصور في الاستعداد لغزو السودان واهتم شخصيا بالإشراف على ما تتطلبه الحملة بالوسائل والمعدات فأمر بجمع الإبل«...إذ هي ملاك السفر البعيد ومركز مداراه» حيث وجه الأوامر إلى جميع ولاته في الأقاليم الصحراوية

---

[205] نفسه،ص 126. و تاريخ الدولة السعدية،ص156.

[206] نفسه.

[207] عبد الكريم كريم: نفسه،ص 126 تاريخ الدولة السعدية،ص156.

خاصـــة«...لإعتيام كل فدية أرجية من البزول الشـــديد الأمر مصـــطلعة بشـــق المفاوز البيد»[208].

وقد فرض على كل قبيلة من القبائل حصـــة معينة تلتزم بتقديمها من المقاتلين والإبل والخيل والبغال،واشـــــتغل هو بتقويم آلة الحرب من المدافع والعجلات التي تحملها والبارود والرصـــاص والكور،وتقديم الخشـــب واللوح والحديد للغلائط والســـفن والفلك والمجاذيف والقلوع والبراميل والروايا لحمل الماء،واســـــتمر الحال إلى أن أســـــتوفي المنصور أمر الغزو في ثلاث سنين[209].

وقد بلغ عدد أفراد الجيش الســـــعدي مابين الأربعة ألاف والخمســـــة ألاف من الخيالة،فيهم النصارى ومسلمون من الأندلس،بالإضافة إلى ألف راجل و1500 عربي مســـــلحين بالرماح و100 أبال و حوالي 2000 من قوات المدفعية والبحرية،ولا يوجد اتفاق بين المؤرخين حول مجموع الجيش الســـعدي الذي يتراوح حســـب الروايات بين ثلاثة آلاف وإثنين وعشـرين ألفا،وكان يصـحب الجيش حوالي 8000 جمل وألف من الخيل محمل بالأمتعة،على أن تقديرات الراويات المســـيحية لأقل من هذا بكثير،وبلغ مجموع قادة هيئة الأركان حرب الجيش الســعدي عشـرة عينهم جميعا المنصـور،إلى جانب جؤدر باشا[210].

---

[208] نفسه،ص 126 تاريخ الدولة السعدية،ص158.

[209] أبو العباس الناصري:الإستقصاء،ج5،تح وتع،جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب،الدار البيضاء،المغرب،1955،ص121.

[210] إبراهيم حركات:المرجع السابق، ص ص303-304.

انتهت الاستعدادات للحملة وجرى الاحتفال باستعراضها يوم الاثنين 16 ذي الحجة سنة 998 هـ الموافق لـ1590م بحضور الخليفة المنصور والجمهور العظيم[211].«...وانجلت الدهماء لمشاهدتهم ...واسترسلوا في مذاهب الإعجاب لكثرة ما كان الناس يتحدثون بغرابة أمور هذه الحركة »[212]

ونصب المنصور القائد جؤدر باشا على رأس الحملة ومما ذكره عبد العزيز الفشتالي بخصوص هذا الشأن عند قوله:« وعقد مولانا أمير المؤمنين أيده الله على هذه العساكر لمملوكه جؤدر باشا مملوكه...الناشئ بتهذيب الإمامة الكريمة المبرز في حلبة النجاة المنقطع القرين...فأعطى أيده الله منه القوس...»[213].

والى جانب هذه الاستعدادات حرص المنصور على استمالة علماء السودان والتعاون معهم وخاصة قاضى تمبكتو عمر بن محمود بن عمر الذي بعث إليه في شوال 998هـ 1590م يعرض عليه الدخول في طاعته وليطلب منه دعوة السودانيين إلى إمامته « ...وأنكم بالآثار الشريفة أعرف من سواكم وأعلم لتكونوا أول من لبى داعيها وأجاب مناديها ولترفعوا بها عقيرتكم في تلكم الأقطار ولتوضحوا للناس هذه الحجج الساطعة الأنوار حتى يعلموا منها ما أوجب الله عليهم من طاعة هذه الإمامة النبوية الشريفة التي لا يقبل الله إلا بطاعتها... » ،كما أعلمه في ختام الرسالة بقرب وصول الحملة المغربية إلى السودان وان« كل من أمنتموه من عساكرنا الطالعة برياتها البيض على تلكم الأقطار السودانية إنشاء الله ومن أجرتموه...فقد أجرناه إظهارا لمزيتكم وإشعارا بمكانتكم لدينا ورفعة وإذانا بجليل منصبكم عندنا وسمو رتبتكم ... »[214]

---

[211] عبد الكريم كريم: المرجع السابق،ص 159.

[212] عبد العزيز الفشتالي:المصدر السابق،ص 130.

[213] نفسه.

[214] نفسه،ص ص 132-133.

ووصل الجيش المغربي إلى مدينة تمبكتو،بعد اختراق الفيافي،والقفار وبعد أن استراح الجنود بها أياما قصدوا دار إسحاق الأسكيا وكان قد سمع بقدومهم فخرج من مدينة كاغو مع من احتشد معه من أمم السودان وقبائلها من الملثمين وغيرهم،بل أضاف إليهم– كما جاء عند الفشتالي ،« أشياخ السحرة،وأرباب العزائم» وكان سلاحهم الرماح والسيوف،بينما كان الجيش المغربي يستخدم المدافع والبارود،وانتهت المعركة بانهزام السودان فولوا الإدبار،وطلب إسحاق من جودر باشا الصلح على مال معين يدفعه فورا على أن يؤدى ضريبة سنوية فأجابه جوؤدر ورجع الجيش المغربي إلى تمبكتو للإقامة هناك حتى يأتيه رد المنصور،خاصة أن عساكره قد أصابتها الحمى نتيجة لوخامة الجو،فلما بلغ المنصور خبر الصلح بعث مملوكه الآخر محمود باشا بقوة جديدة وقلده أمر العساكر كلها وكتب إلى أمراء عسكره يؤنبهم على عدم الاستمرار في قتال إسحاق أسكيا[215]

وقد اصطدم الفريقان في منطقة "بنب" شمالي نهر النيجر بين مدينة غاو وتمبكتو يوم الاثنين25 ذي الحجة الموافق 999هـ الموافق لـ 14 أكتوبر 1591م وانتهت المعركة بانهزام الأسكيا إسحاق وفراره فتوجهت القوات المغربية نحو غاو لمواصلة العمليات العسكرية إلى غاية أن انتحر الأسكيا وبسط المنصور يده على السودان الغربي[216]

ولما كتب محمود باشا إلى المنصور بجميع انتصاراته وفتوحاته بالقضاء على الأسكيا إسحاق أمر المنصور بإظهار الفرح ثلاث أيام وتقدم الشعراء إلى تهنئته وتبشيره بقرب دخول العالم الإسلامي تحت طاعته وبتحقيق الأمنية الغالية وهي استعادة الأندلس الفردوس الإسلام المفقود[217].

---

[215] شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق،ص 181.

[216] عبد الكريم كريم: المرجع السابق،ص 163.

[217] نفسه،ص 164.

وأقيمت المهرجانات العظيمة وزينت الأســواق بالعاصــمة المغربية وأطلقت المدافع وأرسـل المنصـور رسـائل بأخبار هذا النصـر إلى جميع الآفاق ونظم الشـعراء القصـائد بمناسبة هذا النصر[218] ومنها قصيدة لوزير المنصور "الفشتالى" جاء في مطلعها:

- جيش الصباح على الدجى متدفق ~ فياض لسواد ذلك محقق

- وكأن رايات عسكرى التى طلعت ~ على السودان ضيا تخفق

- لاحت وافتهم ليال كلها كعمود ~ صبح في الدجى يتألق

- نشرت لتطوى منه ليلا دامسا ~ أضحى بسفيك ذي الفقار يمزق[219]

وهكذا انتهى الأمر في الأخير للمنصـور« وقوى ملكه وبقيت جباية السـودان تأتيه في كل ســنة إلى أن أتت فيلة ،ووصــلت إليه بترجمان يكلمها وأرســلها إلى فاس ليراها الناس ويعتبرون بخلقها »[220].

«...ولما شــمخ ملكه وكثر جيشــه طالت مدته ولا بقى له منازع خلف ولده (وأخذ له البيعة على الناس)وهو المسـمى الشـيخ،ولما اجتمع احمد المنصـور بأعيان أهل المغرب بعد وقعة النصــارى أخذ عليهم العهد وأوصــى على ولده أهل الحاضــرة والبادية وأرتحل إلى مراكش»[221].

---

[218] شوقي الجمل:المرجع السابق،ص 182.

[219] عبد العزيز الفشتالي: المصدر السابق،ص 139.

[220] مجهول: تاريخ الدولة السعدية التمكدرية،تق وتح:عبد الرحيم بن حادة،ط1،دار تينمل للطباعة والنشر ،مراكش،1999،ص المصدر السابق،ص 68.

[221] نفسه.

ت- العهد العلوي:

هؤلاء أيضا أبناء عمومة السعديين يلتقي نسبهم عند قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد من نسل على بن أبي طالب كرم الله وجهه،وأصلهم كذلك من ينبع النخل،وقد هاجروا إلى المغرب الأقصى ربما في نفس الوقت الذي وفد عليه الأشراف السعديون،ولكنهم استقروا في إقليم تافيلالت وقاعدته سجلماسة.وقدر رحب بهم أهل البلاد وصاهروهم،وعلا مكانهم بنهم بفضل النسب الشريف[222].

بعد وفتة السلطان المنصور أحمد الذهبي سنة 1603م انقسم المغرب إلى كيانات سياسية مستقلة،ففضلا عن مملكة فاس ومراكش السعديتين،برزت غمارات ومناطق نفوذ عديدة ،شقت عصا الطاعة عن الحكم السعدي المتآكل، وأعلنت انفصالها عنه،بل ودخلت معه في حروب طاحنة أهلكت عددا كثيرا من الناس،نمثل لها بحركتي الفقيه "أبي العباس أحمد ابن أبي محلي السجلماسي"،و"أبي زكريا يحي بن عبد الله الحاحي" بالجنوب وإمارة "أبى حسون على السملالي" من بعدها بالسوس وما والاها من المناطق الجنوبية الغربية وغيرها من الحركات ببلاد المغرب[223]

وتحتفظ المصادر المغربية والأجنبية بمعطيات تاريخية مهمة عما أصاب المغرب خلال هذه الحقبة من أهوال وفتن من جراء تفاقم الصراعات العسكرية وما خلفته من نتائج سلبية على العباد والبلاد،إلى حد وصفت فيه بلاد المغرب وقتئذ بالطامة الكبرى،بحيث:« أقبل من الشر ما كان مدبرا،وأدبر من الخير ما كان مقبلا...» وكثرت الفتنة وأشتعل نارها وعسر إخمادها[224].

---

[222] حسين مؤنس:أطلس التاريخ الإسلامي،المرجع السابق ،ص ص 184-185.

[223] محمد العمراني:المغرب زمن العلويين الأوائل،ط1،مطابع الرباط نت،المغرب،2013،ص ص17،19.

[224] مجهول:المصدر السابق،ص 99.

فقد أورد " الإفراني" ما جاء في رسالة القاضي ابن مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني تـ 1651م إلي أبي زكريا يحي الحاحي،واصفا الأوضاع المتأزمة بالبلاد بقوله: « لا يخف على ذي بصيرة ما حل بالمغرب من افتراق الكلمة وتلاعب شياطين الأنس والجن بذوي العقول منهم،فصاروا أحزابا وفرقا...،فهذه مصيبة عظيمة نزلت بغربنا،فتفرق ملائهم،وقتلت سراتهم،وأنتهبت أموالهم،وانتهكت حرمهم،ومزقت أعراضهم ،وفسدت أديانهم ،وافلتلت وبعدت عن التوفيق أرائهم وكادت تطمع فيهم أعدائهم »[225].

وقد كان لظروف الطبيعية دورا فاعلا في تدهور أوضاع البلاد من مجاعات وأمراض وقد أورد عبد الله بن عمر العياشي قصيدة في مؤلفه" الأحياء والإنتعاش " – مجاعة 1661م– جاء فيها:

يا من عد الغرب عام جوع قد غربا ..... لا تنكرن على من جوعه غلبا

من كل داهية تدهي العقول بها ..... وشدة قطعت أربابه إربا

أشدد بعام يكاد الزرع فيه يكون.....كالدواء فيباع وزنه ذهبا

هي حقائق لاشك قد انقلبت..... فانخفض الرفع والخفض قد انتصبا[226]

وقد شهد المغرب الأقصى منذ نهاية الحكم السعدي وبداية الحكم العلوي بروز العديد من سلاطين الأسرة العلوية حيث تميزت فترة كل واحد منهم بالعديد من الأحداث سواء كانت على الصعيد الداخلي أو الخارجي .

وقد تداول على عرش الدولة المغربية خلال العهد العلوي العديد من السلاطين،وقد وتميزت مرحلة كل واحد منهم بأحداث داخلية وخارجية ومن هؤلاء نذكر:

---

[225] الإفراني ، نزهة الحادي: المصدر السابق ،ص 329.

[226] محمد العمراني: المرجع السابق،ص 23.

1- مولاي الشريف بن على زعيم الحركة العلوية: (1631-1635م)

يقول اليفراني: « كان وجيها عند أهل سجلماسة وكافة أهل المغرب،يقصدونه في المعضلات،ويستشفعون به في الأزمات،ويهرعون إليه فيما جل وقل من الملمات»[227].

وفي عهده كانت واحة تافيلالات مطمع الدلائيين و"أبي حسون السملالي"،ولمواجهة هذه الأخطار ألتف أهل سجلماسة (عاصمة تافيلالات) حوله ومبايعته.تعاون مولاى الشريف مع أبي حسون السملالي في بادئ الأمر ولكن أبا حسون انقلب عليه وتمكن من القبض عليه غدرا[228] .وزج به في السجن بسبب ولائه للشرعية المتمثلة بدولة السعديين. ولم يرع له حرمه ولا مهابة،وان لأبي حسون أن يدرك بان خطاه الجسيم الذي ارتكبه سيكون الشرارة الأولى التي ستتدلع منها ثورة الشريف محمد نجل الشريف بن على[229].

2- مولاي محمد بن الشريف: (1640-1664م) مؤسس الدولة

وقعت بينه وبين أبي حسون حروب انتهت بإستلائه على درعة: « ...ثم نهض السلطان مولاي محمد وقاتلهم بها حتى استأصل وأستولي على بلاد درعة ووصل إلى بلاد الساحل... »[230]. وأعمالها،وأدت هذه الانتصارات إلى ازدياد التفاف الناس حوله،وذاع صيته في بلاد المغرب كله فعمل على بسط نفوذه على باقي أجزاء المغرب حتى تتوحد السلطة كلها في يد حاكم واحد،كما استولى على وجده،وشن غارات على تلمسان التي كانت تحت سيطرة الأتراك[231].

---

[227] الإفراني :نزهة الحادي، المصدر السابق ،ص 423.

[228] محمود على عامر ومحمد خير فارس:المرجع السابق،ص78.

[229] مجهول:المصدر السابق.

[230] محمد الضعيف الرباطي:تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعيدة)،ط1،تح،تع،تق،أحمد العماري،دار المأثورات،الرباط،1986،ص 12.

[231] شوقي الجمل:المرجع السابق،ص 204.

مولاي إسماعيل وبناء الدولة: (1672-1727م)

وما إن تولى الحكم حتى اندلعت ضـــده ثورات عديدة، منها ثورة أهل فاس ،وثورة "أحمد بن محرز" بمراكش وســوس،وثورة "الخضــر غيلان" وغيرها من الثورات في أنحاء المغرب[232]

وقد تمكن السلطان "مولاي إسماعيل" من كبح هذه الثورات بفضل الجيش النظامي بدأ بإعادة تكوينه وتنظيمه منذ بداية عهده ويعرف هذا الجيش بـــــــ "عبيد البخاري" أو "البواخر".فأســتطاع به أن يحقق لنفســه الاطمئنان وأن يفرض هيبة الدولة،ويوســع حدود البلاد[233]

وإذا أخذنا بأقوال المؤرخين المغاربة "كاليفريني" و"الزياني" و"الناصـــري" وغيرهم فإن "بلاد الســـيبة" اختفت في عهده،أو على الأقل تقلصـــت إلى حد لم يشـــعر بوجودها.يقول الزياني[3234]: « وكمل له فتح المغرب ولم يبقى به من ينبض له عرق أو يتعلق ببنت شــفه» و « انه كان يخرج الذمي والمرأة من وجدة إلى وادي نون ولا يجدان من يسألهما من اين والى أين»[235]

وكان "المولى إســماعيل" مطلعا على أوربا،وكان متأثرا "بلويس الرابع عشــر"،وكما كان للويس14 فرســاي ،أراد المولى إســماعيل أن يجعل من "مكناســة" فرســاي المغرب فجلب إليها الصــناع والعمال من جميع حواضــر المغرب،ومما جاء في البســتان: « وقد شـاهدنا آثار الأقدمين بالمشـرق والمغرب وبلاد الترك والروم فما رأينا مثل ذلك في دولهم

---

[232] محمد العمراني: المرجع السابق،ص ص55-56.

[233] نفسه،ص56.

[234] محمود على عامر ومحمد خير فارس:المرجع السابق،ص83.

[235] نفسه.

ولا شاهدناه في أثارهم،بل لو اجتمعت أثار الدول ملوك الإسلام لرجح بما بناه السلطان الأعظم المولى إسماعيل»[236].

وبالموازاة مع تثبيت أركان الدولة وتركيز سلطتها في أقاليم البلاد،سعى السلطان "مولاي إسماعيل" إلى ربط علاقات ودية مع بعض الدول الأوربية،وخاصة فرنسا وبريطانيا،وهكذا يمكن القول أن فترة السلطات مولاي إسماعيل تعتبر من أهم الفترات الاستقرار السياسي في المغرب خلال القرن 18م ،حتى أن بعض المؤرخين المغاربة ذهب والى أن عهده يمثل بحق "أوج المجد السياسي"،غير أن البلاد شهدت بعد وفاته سلسلة من الاضطرابات السياسية نتيجة استبداد جيش العبيد الذي أنشاه وهذه من الأخطاء التي ارتكبها المولى إسماعيل إبان حكمه للبلاد[237]

4 - المولى حسن بن محمد : (1873-1894م)

كان المغرب وقت توليته الحكم في مرحلة دقيقة،فقد كانت الأحوال الداخلية والخارجية غير مستقرة،وكان الجيش المغربي لم يتم إعداده للقيام بمهمات خطيرة في إقرار الأمن الداخلي ومواجهة الأطماع الخارجية وكان السلطان كثير الرحلة والحركة ولعل أهم رحلاته التي قام بها سنة 1876م وزار شواطئ المغرب وثغوره)(الجديدة،أزمور،الدار البيضاء،الرباط ،سلا) وكذلك رحلة سمة 1881م لتفقد المناطق الجنوبية من بلاده،وذلك نظرا لتزايد النشاط الإسباني في المناطق الساحلية المواجهة لجزر الكناري[238].

---

[236] الناصري:الإستقصاء ،ج7، ص ص55 -56.

[237] محمد العمراني: المرجع السابق،ص ص60-61.

[238] شوقي الجمل:المرجع السابق،ص ص 233-234.

وشـــهدت فترة حكمه تنافســـا دوليا شـــديدا الدول الأوربية حول النفوذ في المغرب ورغبة كل منها في الحصـــول قدر اكبر من الامتيازات الاقتصـــادية،وقد فرضـــت الدول الأوربية معاهدات مع المغرب يتم بموجبها الحفاظ على امتيازاتها واســـتثماراتها داخل المغرب كما شهدت فترة حكمه عقد مؤتمر مدريد بإسبانيا في 3 جويلية 1880م ومن أهم قراراته كان ، أحقية الملكية في المغرب للأجانب ومنع المغاربة من التجنيس بالجنســـية الأجنبية[239].

وبعد وفات السلطان المولى "حسن بن محمد" سنة 1894م، اعتلاء العرش ابنه "عبد العزيز" وكان صغير السن إذ لم يتجاوز 13سنة وكانت توليته للحكم في فترة حرجة من تاريخ المغرب وقد وصل الضغط الخارجي ذروته على المغرب[240].

[239] نفسه،ص ص 234،236.

[240] نفسه،ص 237.

الخاتمة

الملاحق

خريطة حدود الدول المغاربية ومقاطعة غرناطة

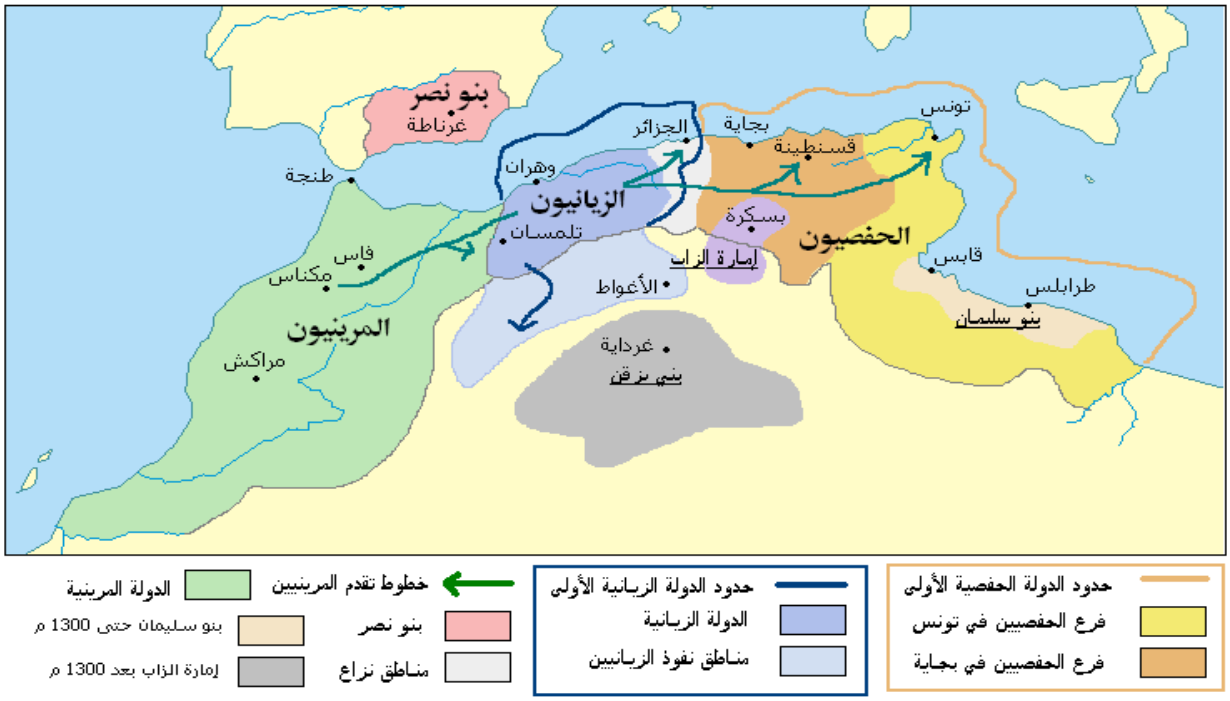

https://www.marefa.org/ تاريخ التصفح:2020/09/12

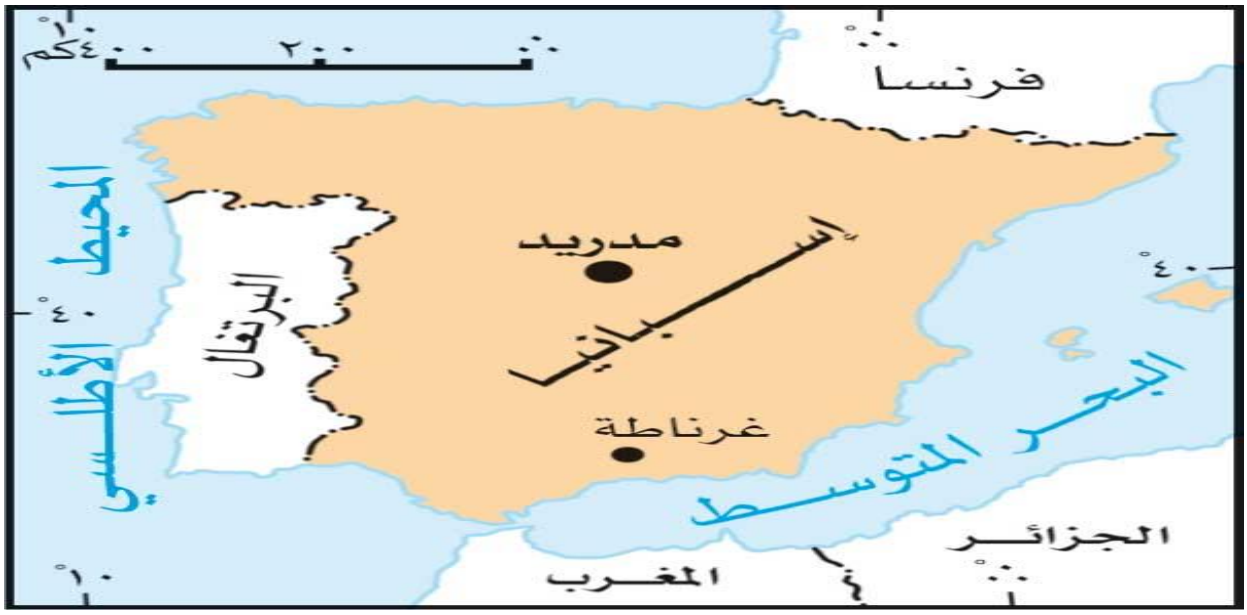

http://arab-ency.com.sy تاريخ التصفح:2020/09/12

خريطة التوسعات العثمانية من 1300 الى غاية 1683

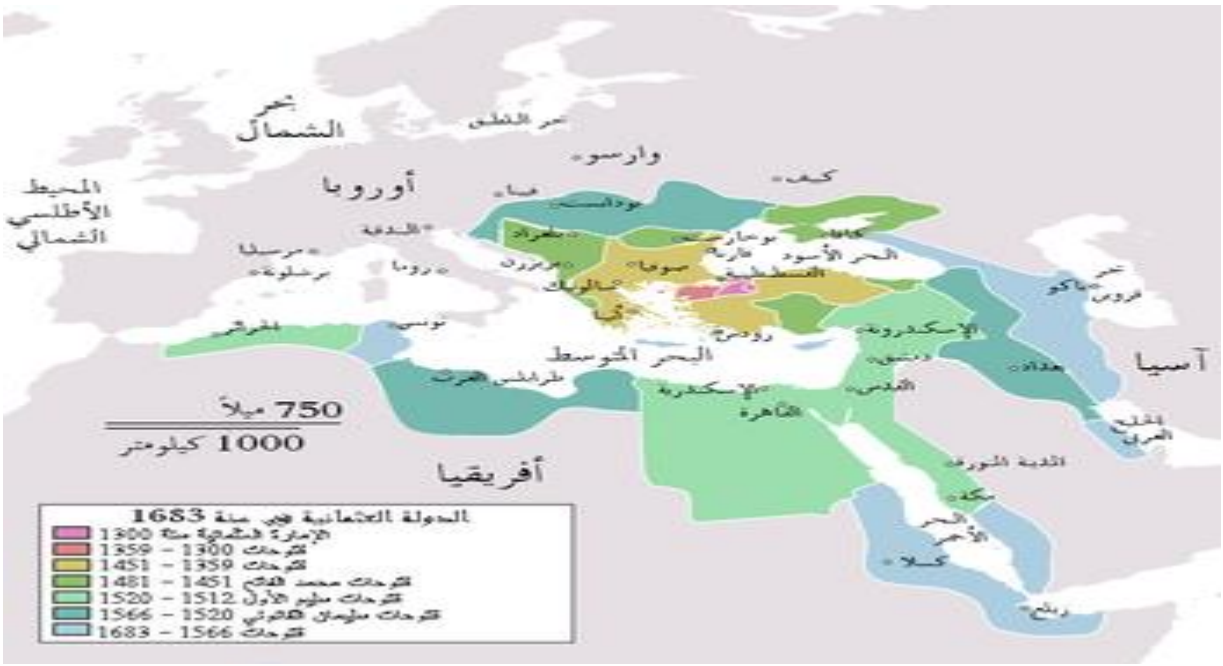

ttps://www.google.com تاريخ التصفح: 2020/09/12

صورة تقريبية للبحرية الجزائرية في الفترة العثمانية

https://www.startimes.com تاريخ التصفح:2020/09/12

خريطة الجزائر في عهد الدايات

https://www.google.com تاريخ التصفح:2020/09/12

خريطة المغرب الأقصى عن قيام الدولة السعدية

https://www.google.com تاريخ التصفح:2020/09/12

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- ابن عودة المزاري:
- أبي عبد الله محمد بن خليل الغلبون ، التذكار في من ملك طرابلس ومن كان بها من الأخبار
- ابو العباس الناصري:الإستقصاء،ج5،تح وتع،جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب،الدار.
- إتوري روسي: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911،تر،وتق،خليفة محمد التليسي،الدار العربية للكتاب،ط2.
- احمد بن أبي الضياف، إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، مج 2، ج 3
- الحاج محمد بن رمضان شاوش:باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان،ج1،ديوان المطبوعات الجامعية،2011،الجزائر.
- شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الإحتلال الإيطالي
- شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني المقري ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، القاهرة ، مصر ن 1939م.

- عبد العزيز الفشتالي:مناهل الصفاء في مآثر موالينا الشرفاء،دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم،مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة،المغرب ،دت،
- مجهول: تاريخ الدولة السعدية التمكدرية،تق وتح:عبد الرحيم بن حادة،ط1،دار تينمل للطباعة والنشر ،مراكش،1999.
- محمد الضعيف الرباطي:تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعيدة)،ط1،تح،تع،تق،أحمد العماري،دار المأثورات،الرباط،1986.
- مؤلف مجهول ، نبذة العصر أخبار ملوك بني نصر ، تحقيق الفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ، بورسعيد ، مصر ، 2002.
- هابنسترايت، ج.أو : رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1732م، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي ،تونس، دت،

- وليام سبنسر : الجزائر في عهد رياس البحر.
- الإفراني ، نزهة الحادي

أولا: المراجع:

- إبراهيم حركات:السياسة والمجتمع في العصر السعدي،دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،1987
- ابراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ،ط1،مج2،دار الرشاد الحديثة،،الدار البيضاء،1978
- أبي عبد الله محمد بن خليل الغلبون ، التذكار في من ملك طرابلس ومن كان بها من الأخبار.
- حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، مراجع عادل أبو المعاصي ومحمد دياب ، دار الرشاد ، القاهرة ، مصر .
- دلندة الأرقش وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال مصادره،مركز النشر الجامعي،2003.
- شوقي عطا الله الجمل:المغرب العربي الكبير،ط1،مكتبة الأنجلو مصرية،2009.
- شوقي عطا الله الجمل:المغرب العربي الكبير،ط1،مكتبة الأنجلو مصرية،1977.
- شوقي عطا الله الجمل:المغرب العربي الكبير،ط1،مكتبة الأنجلو مصرية،2009.

- صالح فركوس:تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال،دار العلوم للنشر والتوزيع،الجزائر،2005
- عادل سعيد بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، مطابع انتر ناشيونال برس ، ط1 ، القاهرة ، مصر ، 1983م،
- عبد الرحمن علي الحجي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة دار القلم ، دمشق ، ط2 .
- عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ،ج2،دار المعرفة ،الجزائر.
- محمد المنوني وآخرون ، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص ، شركة المدارس للنشر ، ط1 ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1991م .
- محمد دراج:الدخول العثماني إلى الجزائر،ط1،الأصالة للنشر والتوزيع،الجزائر ،2012.
- محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الرابع : نهاية الأندلس ،وتاريخ العرب المنتصرين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ، 1997م .
- محمد عبده حتاملة ، محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها ، مطابع دار البعث ، ط1 ، عمان ، الأردن ، 1977.
- مريم خاوش أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط لمريم خاوش ، تحت عنوان آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط .
- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي:الجزائر في التاريخ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر.

- يحي بوعزيز:الموجز في تاريخ الجزائرج2،ط2،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2009
- يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1999.

- أحمد النائب ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب.

- أحمد توفيق المدني:حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،دت،الجزائر.
- أرزقي شويتام:المجتمع الجزائري وفاعلياته في العهد العثماني،1519-1830،ط1،،دار الكتاب العربي،2009.
- حسين مؤنس:أطلس التاريخ الإسلامي.
- حنيفي هلايلي:أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،ط1،دار الهدى ،الجزائر،2008
- سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،مطبوعات مكتبة الملك فهد،الرياض،2000.
- شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث.
- صالح فركوس:تاريخ الجزائر المراحل الكبرى،دار العلوم للنشر والتوزيع،الجزائر.
- طاهر أحمد الزاوي ، ولاة طرابلس الغرب من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي.
- عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية،ط3،منشورات جمعية المؤورخين المغاربة،الرباط،المغرب،2006.
- علي بن إسماعيل عمر، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا .
- علي مسعود البلوشي ، تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي.
- قرباش بلقاسم: معاهدة الصلح والسلام بين بريطانيا العظمى والجزائر 1682م من خلال وثيقة أصلية، في مجلة الدراسات التاريخية،العدد،18،ماي 2015،الجزائر.
- محمد العروسي المطوي،السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي .
- محمد العمراني:المغرب زمن العلويين الأوائل،ط1،مطابع الرباط نت،المغرب،2013.
- محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال.
- محمد رزوق:دراسات في تاريخ المغرب.
- محمود على عامر ومحمد خير فارس
- محمود علي ، محمد خير فارس ، المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى ليبيا)،
- محمود ناجي ، تاريخ طرابلس الغرب .

- مقلاتي عبد الله ، المرجع في تارخ المغرب الحديث والمعاصر(الجزائر – تونس–المغرب–ليبيا) .
- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،1984.
- ناصر الدين سعيدوني:الشرق الجزائري،البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر.
- يحي بوعزيز:مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية،2009 الجزائر.

المواقع الإلكترونية:

-http://www.algeriagate.info/2014/04/1830.html

-http://www.marefa.org
-http://islamstory.com/ar

-http://midad.com/article/197375
-http://www.marefa.org

-https://ar.wikipedia.org

-http://islammemo.cc/zakera/methl-haza-elyawm

-https://tribusalgeriennes.wordpress.com

فهرس الموضوعات

الموضوع
الصفحة

المقدمة : ص1-2

المحور الأول: أوضاع بلدان المغرب العربي 16/15م ص4-13

1- سقوط غرناطة وآثاره على منطقة المغرب العربي ص4-9

2- أوضاع الدول المغاربية في أواخر القرن 15 ومطلع القرن16م ص10-13

المحور الثاني: العثمانيون في الحوض الغربي للمتوسط ص14-38

1- المد العثماني الى الحوض الغربي للمتوسط ص15-31

2- ظروف الحاق الدول المغاربية بالدولة العثمانية ص31-38

المحور الثالث تطور نظم الحكم في بلدان المغرب خلال الفترة العثمانية ص40-103

1-تطور نظام الحكم في الجزائر ص40-74

2-تطور نظام الحكم في تونس ص75-83

3-تطور نظام الحكم في ليبيا ص83-86

4-تطور نظام الحكم في المغرب الأقصى في فترة السعدين والعلويين .....ص87-103.

الخاتمة ص106

الملاحق ص107-110

قائمة المصادر والمراجع ص111-116

فهرس الموضوعات ص117- 118